الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيـة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مستغانم

كلية الآداب والفنـون

قسم اللغة العربية وآدابـها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في الأدب العربي

الموضوع:

الحنين في الشعر الأندلسي

من إعداد الطالبة:

- عباسة سامية

بإشراف الأستاذ:

- د. محمد عباسة

السنة الجامعية: 2009 – 2010

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

صدق الله العظيم

[المجادلة: 11]

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى التي حملتني وحمتني ومنحتني الحياة، وأحاطتني بحنانها،
أمي الغالية التي حرصت على تعليمي بصبرها وتضحيتها في سبيل نجاحي.
إلى أبي العزيز الذي دعمني في مشواري الدراسي منذ خطواتي الأولى إلى المدرسة.
كما لا يفوتني أن أخصّ إهدائي بذكر الجدين العزيزين والجدتين الحنونتين،
الذين أعانوني بالدعاء، أطال الله في أعمارهم.
وإلى إخوتي "الحبيب" و"أمين" وإلى أخواتي "حنان"، "نصيرة"، "سارة" وصغيرتي "ريمة".
وإلى كل أخوالي خاصة "محمد" وأبنائه خاصة "ماليك" وإلى خالي "جيلالي"
وإلى زوجته وأبنائه وكل خالاتي وأبنائهن.
وإلى عمي "محمد" وزوجته وأبنائه خاصة "سليمة" وإلى عمي "كمال"
وإلى كل عماتي وأبنائهن خاصة عمتي "مريم" و"جميلة" وابنة عمتي "الحاجة".
كما أهدي عملي المتواضع إلى كل صديقاتي خاصة "زهور" و"نبيلة" و"أمينة"
و"ريمة" و"شيماء" و"جوهرة" و"سعاد" و"فضيلة" و"نور الهدى".
وإلى كل الزملاء والزميلات وجميع طلبة السنة الرابعة أدب عربي
دفعة 2010.

تشكرات

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد عباسة
على ما قدّمه لي من دعم في إنجاز بحثي، بتوجيهاته ونصائحه القيّمة،
وبإفادته لي بالمعرفة وبطرق البحث ومنهجيته.
كما أشكر جميع أساتذة ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها
وكل إطارات القسم وعمّال المكتبة.
كما أتوجّه بالشكر إلى كل من دعمني في إنجاز
هذا البحث المتواضع.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ موضوع الحنين في الشعر عامّة هو في حدّ ذاته مرتبط بمفهوم الشعر، الذي يعتبر وبإجماع النقاد عبارة عن وجدان وأحاسيس.

والحنين من المشاعر الإنسانية النبيلة التي تحرّك قلب المفارق إلى الشوق للقاء مفارقيه من الأهل والأحباب، وقلب المغترب إلى الشوق للعودة إلى وطنه.

وإذا نظرنا إلى الحنين كظاهرة في الشعر فسنجده طاغيا على الشعر العربي عامة، لكنه ورغم بداياته المشرقية الأصل إلا أنه تطور وازدهر عند الشعراء الأندلسيين الذين تجرعوا مرارة الفراق وقاسوا من فرط الشوق والحنين أشدّ مقاساة، إذا ما قورنوا بالشعراء المشرقيين.

فقد تميّزت أشعار الحنين عند الأندلسيين بالغزارة على مستوى العاطفة القوية الصادقة، وعلى مستوى الكمّ الهائل من القصائد المتضمنة لموضوع الحنين بأنواعه، فقد راح الشعراء يصفون حنينهم، وتجربتهم مع الغربة والحنين إلى عهد المجد في ظلّ الأمن والسلام والشباب، وجمعة الأحباب والأهل، الذي أحاله الاستعمار الإسباني والظروف الداخلية للأندلس إلى حرب وخوف وعجز وهوان وتشتت وضياع وتشرّد.

والحديث عن الحنين من قِبَل النّقاد كثر تداوله، فمعظم قصائد الغزل أو الرّثاء أو وصف الطبيعة أو البكاء على الأطلال أو الحكمة، أو غيرها، تضمنت في طيّاتها معاني الحنين.

إنّ موضوع بحثي هذا المعنون بـ "الحنين في الشّعر الأندلسي" له من الأبواب والفصول ما يستحقه، لتوسع الشعراء في الحنين بأنواعه على مستوى الموضوع وعلى مستوى الفنيات عبر العصور الأدبية، فاختياري لهذا الموضوع لكونه يعبّر عن تجارب صادقة مَرّ بها الشعراء، ونقلوها إلينا بأسلوب متميز ودقيق مؤثر، في وصفهم للعواطف والأشواق، أما عن اختياري لشعر الحنين في الأندلس بالذّات فهذا لأن الحنين ورغم نشأته الأولى في المشرق إلا أن ازدهاره كان على يد شعراء الأندلس، وخاصة لامتيازه بصدق العواطف والتجربة وابتعاد الشاعر – في تصويره لمشاعر الحنين والشوق – عن المبالغة والتكلّف والصنعة اللفظية دون ضرورة لذلك.

وقد اتبعتُ في بحثي منهجاً تاريخيا للخوض في تتبّع مراحل تطور الحنين في الشعر. وقسّمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة للبحث.

أما الفصل الأول فقد عُنْونَ بـ "الحنين في الشعر العربي" وفيه أوردتُ مفهوم الحنين لغة واصطلاحاً، ثم انتقلت إلى الحنين في الشعر العربي على مرِّ العصور الأدبية انطلاقا من الحنين في الشعر الجاهلي ثم عند الشعراء المخضرمين ثم الشعر الإسلامي والأموي ثم الحنين في الشعر العباسي والأندلسي، وفي آخر الفصل عددت أنواع الحنين في الشعر العربي كالحنين إلى الوطن والحنين إلى الحبيب والحنين إلى الأهل والأقارب والحنين إلى الأصدقاء والحنين إلى الشباب وأيام المجد المفقودة.

أما الفصل الثاني الموسوم بـ "الحنين في الشعر الأندلسي" فقد تطرقت فيه إلى عوامل ذيوع شعر الحنين الأندلسي من عوامل داخلية وأخرى خارجية؛ كالهجرة والترحال والأسر في السجون وسقوط المدن والمماليك.

وأيضا تطرقت إلى أحد أنواع الحنين في الأندلس وهو الحنين إلى الوطن، وهذا للارتباط الشديد بالوطن والديار عند شعراء الأندلس الذين سُحروا بجماله، وتعلّقوا بكل ركن فيه، وهذا ما ميّز أشعارهم التي ذكر فيها الوطن في معظم الأغراض، فجمع الشاعر بين حنينه إلى وطنه بالغزل أو بالرثاء أو بالحِكَم والمواعظ، وهذا دليل على عمق الشعور بحبّ الوطن.

كما تطرقت إلى أحد الأنواع الأخرى للحنين، وهو الحنين إلى الأهل والأقارب وهو مثله مثل الحنين إلى الوطن، إذ نجده يعبّر عن تجربة الشاعر ومعاناة الفراق، وهذا دليل على إنسانية الشاعر وطبعه الاجتماعي وفطرته التي تقتضي العيش وسط الأهل، فقد راح الشعراء يصفون أشواقهم إلى الأهل المفارقين بسبب الارتحال أو الأسر في السجن أو مناسك الحج وغيرها من الأسباب.

أما الفصل الثالث فخصصته لدراسة الخصائص الفنية في شعر الحنين الأندلسي كخصائص اللغة والأسلوب اللذين تميّزا بالسهولة والوضوح والأناقة والجزالة والبلاغة والفصاحة.

كما درست الصورة الفنية التي تبرزُ بَراعة شعراء الأندلس في التصوير كالتشبيهات

والاستعارات والكناية، إضافة إلى جانب الصنعة اللفظية التي لم تطغَ على أشعارهم، فقد وردت نادراً، لاهتمامهم بوصف العواطف وبالمعاني أكثر من الاهتمام بالتزويق في الألفاظ، فقد عرفت أشعار الأندلسيين بتوظيف ألوان البديع دون مبالغة كالطباق والجناس والسجع والتورية.

فقد تميّز شعر الحنين في الأندلس بصدق العاطفة وتوظيف الطبيعة وفصاحة اللغة وجزالة الأسلوب وبدقة وجمال التصوير الفني وأناقة التعابير وحسن انتقاء العبارات التي تصف الحنين الذي عرفه الشاعر في حياته.

الفصل الأول

الحنين في الشعر العربي

1 - مفهوم الحنين

أ - الحنين لغة

ب - اصطلاحا

2 – الحنين في الشعر العربي

أ - الحنين في الشعر الجاهلي

ب - الحنين عند الشعراء المخضرمين

ج - الحنين في صدر الإسلام

د - شعر الحنين في العصر الأموي

هـ - شعر الحنين في العصر العباسي

3 - أنواع الحنين

أ - الحنين إلى الوطن والديار

ب - الحنين إلى الحبيبة

ج - الحنين إلى الأهل والأقارب

د - الحنين إلى الصديق والأنيس

1 - مفهوم الحنين:

أ - الحنين لغة:

وبالرجوع إلى جذر الكلمة، هو الفعل الثلاثي "حنن" الذي طرأ عليه التضعيف - لغير زيادة - فصار "حن" وتصريفه حن، يحن، حنينا.

وقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور حنن: الحنان من أسماء الله الحسنى، قال ابن الأثير: الحنان الرحيم بعباده.

والحنين الشوق وتوقان النفس، وقد (حن) إليه يحن - بالكسر- حنينا فهو حان، والحنان الرحمة، وقد (حن) عليه يحن - بالكسر- حنانا[1]، ومنه قوله تعالى: "وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا"[2].

وحننت الإبل: نزعت إلى أوطانها أو أولادها، والناقة تحن في إثر ولدها حنينا: تطرب مع صوت، وقيل حنينها: نزاعها بصوت وبغير صوت والأكثر أن الحنين بالصوت. والمستحن: الذي استحنه الشوق إلى وطنه، حنن: الحنين الشوق، وشدة البكاء. حن يحن حنينا: استطرب، فهو كاستحن وتحان[3].

ب - اصطلاحا:

فالحنين معناه الشوق وتوقان النفس مع الطرب والتنغيم، وهو يكشف عن مدى معاناة المغترب بعيدا عن وطنه.

والحنين من المشاعر النبيلة الإنسانية التي تهز كيان الإنسان فهو عاطفة تشد الفرد بأهله مهما ابتعد المكان وطال الزمان واستحال اللقاء بعد الفراق.

2 – الحنين في الشعر العربي:

أ - الحنين في الشعر الجاهلي:

الحنين كظاهرة في الشعر العربي بدأت بوادرها منذ العصر الجاهلي، وتجسده ذلك من خلال قصائد الغزل المتضمن للحنين إلى الحبيب، كما تجسد ذلك من خلال القصائد

---

1 - الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، (1994 م – 1414 هـ)، ص 76، (مادة: حنن).

2 - سورة مريم، الآية 13.

3 - الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406 هـ، ط 1، ص 630.

المشهورة بالمقدمات الطللية، وأجمل ما قيل في الحنين إلى الديار والحبيب معا هو في قصيدة امرئ القيس الشاعر الوجداني الذي صنفه النقاد وقدمه على سائر الشعراء وهم يحتجون لذلك بأنه أول من وقف على الأطلال...[4]، فهو الشاعر الذي وقف واستوقف وبكى واستبكى على الأطلال في أسلوب أنيق.

يقول امرؤ القيس في معلقته[5]:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فنوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل
كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنضل
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

وجاء في شرح المعلقات السبع للزوزني أن سقط اللوى، الدخول، حومل، نوضح والمقراة كلها أماكن، وسقط بين هذه المواضع الأربعة[6] السابق ذكرها، وكانت حبيبته التي هجرته تقيم بسقط اللوى، أين تركت له ذكريات وهو في هذه المقدمة الطللية يحن إلى تلك الأيام، ويتذكر فيها الديار التي أصبحت أطلالا.

وأيضا من أصحاب المعلقات الشاعر العبسي عنترة بن شداد الذي تكبد عناء الترحال وتألم من فراق عبلة ابنة عمه التي هجرته ورحلت بعيدا عنه، فاشتهر شعره بذكرها وبحنينه إليها حتى في الوغى ومعارك القتال، فكان يخاطب في شعره الطير، باعثا معه سلاما إلى عبلة قول مخاطبا طائر "البان" قائلا[7]:

وطر لعلك في أرض الحجاز ترى ركبا على عالج أو دون نعمان
يسري بجارية تنهل أدمعها شوقا إلى وطن ناء وجيران
ناشدتك الله يا طير الحمام إذا رأيت يوما حمول القوم فانعاني
وقل طريحا تركناه وقد فنيت دموعه وهو يبكي بالدم الفاني

4 - الزوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، مصر 1988، ص 9.
5 - د. علي الجندي: عيون الشعر العربي القديم، دار غريب، مصر 2000، ص 13.
6 - الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص 11.
7 - عنترة بن شداد: الديوان، ص 101.

وهنا يشكو الطائر الحمام عن همومه آملا أن يصله خبر عن من فارق من الأهل والخلان. وفي البكاء على الأطلال يقول أيضا[8]:

لمن طلل بالرقمتين شجانـــــي وعاشت به أيدي البلى فحكاني
وقفت به والشوق يكتب أسطــرا بأقلام دمعي في رسوم جناني
ألا يا غراب البين لو كنت صاحبي قطعنا بلاد الله بالـــدوران
عسى أن نرى من نحو عبلة مخبرا بأية أرض أو بأي مكـــان
أيا عبل لو أن الخيال يزورنـــي على كل شهر مرة لكفانـــي
لئن غبت عن عيني يا ابنة مــالك فشخصك عندي ظاهر لعياني

وهنا نجد الغراب ويخبره عن شوقه وحنينه لعبلة مسائلا إياه عن أخبارها وفي الأخير، يقول بأنه رغم غياب عبلة عنه إلا أنها دائما في فكره ولا ينسى ذكرها. وفي قصيدة أخرى أيضا تفيض شوقا لعبلة يسائل فيها خليله أي الطائر وفيها يقول[9]:

يا عبل ما دام الوصال لياليـــا حتى دهانا بعده الهجـــران
ليت المنازل أخبرت مستخبـــر أين استقر بأهلها الأوطـــان
يا طائر قد بات يندب إلفــــه وينوح وهو موله حيـــران
عرني جناحك واستعر دمعي الذي أفنى ولا يفنى له جريـــان
حتى أطير مسائلا عن عبلــــة إن كان يمكن مثلي الطيران

وهنا يتمنى الطيران لكي يقدر على التنقل بحثا عن حبيبته عبلة وذلك بالاستعانة بالطائر إذ يريد استعارة جناحه مقابل دموعه التي لا تفنى، وقد كثر في شعر عنترة توظيف الطائر ذي كان رفيقه الوحيد بعد هجران عبلة ونأيها عنه واستحالة الوصال إذ يقول[10]:

أحن إلى تلك المنازل كلمـا غدا طائر في أيكة يترنـــم
بكيت من البين المشت وإنني صبور على طعن القنا لو علمتم

ولعل خطاب عنترة للطير عائد لكثرة تنقله وتهجره فيبعث معه تحياته للخلان وسلامه إليهم.

8- المصدر نفسه، ص 102.
9 - المصدر نفسه، ص 103.
10 - المصدر نفسه، ص 91.

وأيضا من أصحاب المعلقات طرفة بن العبد (ت 60 ق هـ) يقول[11]:

قفي ودعينا اليم يا ابنة مالـك وعوجي علينا من صدور حمالك
قفي لا يكن هذا تعلة وصلنـا لبين، ولا ذا حظنا من نوالـك
أخبرك أن الحي فرق بينهـم نوى غربة ضرارة لي كذلـك
تعير سيري في البلاد ورحلتـي ألا رب دار لي سوى حر دارك
وليس امرؤ أفنى الشباب مجاورا سوى حـيه إلا كآخر هالـك

فهنا نجد عاطفة طرفة صادقة نابعة من أعماقه، إذ يعبر عن حنين يغمره، ويشبه مجاورته لغير حية وأهله بالهلاك لأنه لا يحتمل الغربة والفراق.

ويقول لبيد بن ربيعة بن مالك العامري في مقدمة معلقته[12]:

عفت الديار محلها فمقامهـا بمنى تأبد غولها فرجامها

وفي شرحه لهذا البيت يقول الزوزني صاحب (شرح المعلقات): "عفت ديار الأحباب وانمحت منازلهم ما كان منها للحلول دون الإقامة وما كان منها لارتحال قطانها ورجالمها راجعة إلى الديار، كقوله تأبد غولها: أي ديار غولها ورجامها، راجعة إلى الديار، فحذف المضاف".

ولم يكن الحنين مقتصرا على أصحاب المعلقات في المقدمة الطللية والغزل فحسب بل نجده أيضا عند شعراء آخرين في الجاهلية كالنابغة الذبياني، إذ نجده يصف لنا حنينه إلى الديار في قوله[13]:

يا دار مية بالعلياء، فالسنـد أقوت، وطال عليها سالف الأبد
وقفت فيها أصيلانا أسألهـا عيت جوابا، وما بالربع من أحد
أمست خلاء، وأمسى أهلها احتملوا أخنني عليها الذي أخنى على لبد
كأن رحلي، وقد زاد النهار بنـا يوم الجليل على مستأنس وحد

فالشاعر يقف على الأطلال يسأل عن أهل تلك الديار الذين رحلوا وتركوها خلاء.

11 - طرفة بن العبد: الديوان، ص 21.
12 - الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص 216.
13 - النابغة الذبياني: الديوان، ص 17 - 18.

ويقول سلامة بن جندل التميمي (ت 600 م) في الحنين والرحلة[14]:

هاج المنازل رحلة المشتاق دمن وآيات لبثن بواقـــي

للحارثية قبل أن تأى النوى بهم وإذ هي لا تريد فراقـي

فوقفت فيها ناقتي، فتحننت لهوى الرواح تتوق كل متاق

والحنين في هذه الأبيات متبادل بين الشاعر ومحبوبته التي لا تريد فراقه وقد أجبرت على الترحال.

ويقول عمرو بن قميئة (448 م - 540 م) وقد كان حسن الوجه مديد القامة[15]:

تحن حنينا إلى مالـــك فحنى حنينك إلى معالـــي

إلى دار قوم حسان الوجـوه عظام القباب طوال العوالـي

إن قلبي عن تكتم غير سالي تيمتني، وما أرادت وصالـي

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يشكو من لوعة الفراق، وله في الحنين إلى الديار والوقوف على الأطلال شعر يفيض حنينا فيقول[16]:

أمن طلل قفر ومن منزل عـاف عفته رياح من مشات وأصيـــاف

بكيت وأنت - اليوم- شيخ مجرب على رأسه شرخان من لون وأصناف؟

فارتباط الشاعر بدياره لا يزول، وذكره للمنازل لا ينقطع وإن صارت أطلالا فالشاعر يحمل معه ذكرياته التي تعلقت بالأماكن التي شب فيها وعاش أيامه الخالية في كل زاوية من زواياها.

ومن الشعراء الذين طرقوا موضوع الحنين في شعرهم نجد زهير بن أبي سلمى ويقول بهذا الصدد مكتويا بنار الفراق في هذه الأبيات[17]:

إن الخليط أجد البين فانفرقنا وعلق القلب من أسماء ما علقنـا

وفارقتك برهن لا فكاك لـه يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وزهير بن أبي سلمى، من شعراء المعلقات وصاحب شعر بليغ ذو جودة وقد وفق في

14 - سلامة بن جندل: الديوان، ص 6.
15 - عمر بن قميئة: الديوان، ص 11 - 12.
16 - المصدر نفسه، ص 13.
17 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص 19 - 29.

كل الأغراض التي طرقها خاصة ما تعلق بتجاربه وبحياته الخاصة وموضوع الحنين كان ميزة من ميزات شعره، فكانت عاطفته صادقة، تتغنى أشعاره بالشوق والحنين وهو يعاني آلام الفقد، ومرارة الفاجعة وكما حدث في قصته مع افتقاد الولد، إذ مر بتجربة مفجعة وذلك لفراق ابنهم "سالم" الذي كان جميل الوجه حسن الشعر، فأهدى رجل إلى زهير بردين، فلبسهما الفتى وركب فرسا له، فمر بامرأة من العرب بماء يقال له: "النتاءة" فقالت: ما رأيت كاليوم قط رجلا ولا بريدين ولا فرسا، فعثر به الفرس فاندقت عنقه وعنق الفرس وانشق البردان، فقال زهير يرثي ولده مفجوعا لفراق ابنه سالم الذي مات وهو في ريعان شبابه[18]:

رأت رجلا لاقى من العيش غبطة وأخطأه فيها الأمور العظائم
وعندي من الأيام ما ليس عنــده فقلت له مهلا فإنك حالـم
لعلك يوما أن تراع بفاجـــع كما راعني يوم النتاءة سالم

ويقول الأعشى (ت 7 هـ - 729 م) [19]:

بانت سعاد وأمسى حبلها رابــا أحدث النأي لي شوقا وأوصابا
وأجمعت صرمنا سعدى وهجرتنا لما رأت أن رأسي اليوم قد شبا

فالشاعر في هذه الأبيات يتغزل بسعاد ويشكو الفراق، وفي أبيات أخرى في الحنين يقول[20]:

خالط القلب هموم وحزن وادكار بعدما كان اطمـأن
فهو مشغوف بهند هائـم يرعوي حينا، وأحيانا يحن

فالأعشى هنا يصف مرارة الفراق في القلب، وشدة الحزن بعد الاطمئنان.

ب - الحنين عند الشعراء المخضرمين:

من الشعراء المخضرمين الذين نظموا الشعر في الجاهلية والإسلام: الخنساء، وحسان بن ثابت، والنابغة الجعدي، وكعب بن زهير... وغيرهم من الشعراء الذين إلى الديار كما جاء في قصائد كعب بن زهير (ت 24 هـ) والحنين إلى الأيام الصبا تحسر فيها على أيام

18 - المصدر نفسه، ص 35 - 54.
19 - الأعشى: الديوان، ص 16.
20 - المصدر نفسه، ص 195.

الشباب[21]:

بان الشباب والشيب قد أزفا ولا أرى لشباب ذاهب خلفــا
عاد السواد بياضا في مفارقه لا مرحبا بهذا اللون الذي ردفا
ليت الشباب حليف لا يزايلنا بل ليته ارتد منه بعض ما سلفا

كما له قصائد غزلية كقصيدة البردة التي كتبها مادحا "الرسول صلى الله عليه وسلم" والتي يقول في مطلعها في حنينه[22]:

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتـول متيم إثرها لـم يـجز مكبــول
وما سعاد غداة البين إذ رحـلوا إلا أغن عضيض الطرف مكحول
أمست سعاد في أرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيــل

وفي الأبيات يشكو الشاعر لوعة فراق سعاد فهو مفجوع ومتألم لهجرانها وحنينه إليها يعذبه. ويقول أيضا في فراق "نوار"[23]:

ووقفت فيها قليلا ريث أسألهـــا فانهل دمعي على الخدين منسحقا
حلت نوار بأرض لا يبلغهـــا إلا صموت السرى تسأم العنـقا
يا ليت شعري وليت طيري تخبرنـي أمثل عشقي يلاقي كل من عشـق

الشاعر في هذه الأبيات يصف إحساسه النابغ من قلب مفجوع بفراق حبيبته التي بكى فراقها وبعدها عنه. وإذا كان الغالب فيما سبق من شعر كعب بن زهير هو الحنين إلى المحبوبة، فإننا نلمس الحنين بأنواعه عند كثير من الشعراء المخضرمين كموضوع الحنين المرتبط بالرثاء وبكاء الأهل والخلان كما هو حال الشاعرة تماضر بنت عمرو بن الشريد الملقبة بالخنساء (ت 46 هـ)، التي اشتهرت ببكاء أخيها صخر الذي فجعت بقتله هو وأخوهما معاوية فقد رثت الخنساء أخويها خاصة صخر الذي ذكرته في معظم شعرها، لأن حزنها على فراقه كان شديدا حتى صارت مضرب المثل في رثاء أخويها، وكان أشد جزعها على صخر مع أنه لم يكن خليصها، فتقول في بكاء صخر[24]:

---

21 - كعب بن زهير: الديوان، ص 18.
22 - المصدر نفسه، ص 29.
23 - المصدر نفسه، ص 22 - 23.
24 - السيد كاظم الكفائي: عصور الأدب العربي، مطبعة الإرشاد، بغداد 1968 م، ص 64 - 65.

أعيني جودا ولا تجمـدا ألا تبكيان لصخر النـدى؟

وتقول أيضا:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني فقد أضحكتني زمنا طـويلا

دفعت بك الخطوب وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيـل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وهذه الأبيات لهي دليل على حب الشاعرة لأخيها، وعلى انكوائها بنار الفاجعة وهول الفراق الذي أبكاها زمنا طويلا، " لكن بمرور الأيام وتقدمها في السن هدأت زفرتها وتجلببت برداء الصبر والإيمان بالله ورسوله، وقد استشهد أولادها الأربعة في حرب القادسية وهي صابرة محتسبة"[25].

ومن الشعراء المخضرمين حسان بن ثابت (ت 54 هـ) شاعر الرسول "صلى الله عليه وسلم" الذي تألم لفراق الرسول فأحسن رثاءه[26]:

فبكي رسول الله يا عين عبرة ولا أعرفنك - الدهر- دمعك يجمد

فجودي عليه بالدموع، وأعولي لفقد الذي لا مثله - الدهر- يوجد

لقد كان لوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقع في قلوب المسلمين وأثر شديد في نفوسهم من شدة الحزن على فراقه وهذا نجده في شعر شاعر الرسول صلى الله غليه وسلم الذي بكى وفاته بحرقة وتألم لرحيل خير خلق الله الذي كان من صحابته فكان حنينه للرسول عارما وإحساسه بالفراق مؤلما.

ج - الحنين في صدر الإسلام:

بظهور الإسلام استجدت عند المشارقة الأحوال وتبدلت، فعاش المسلمون في ظروف اختلفت عما كانت غليه في الجاهلية، وبالضرورة استجدت أنماط ومواضيع الشعر إلا أن موضوع الحنين بقي متداولا عند الشعراء إلا موضوع لحنين إلى الوطن والأهل على ألسنة الجنود الفاتحين في عصر صدر الإسلام، الذين ابتعدوا عن الأهل والأحبة من خلال خروجهم في جيش الفتح الإسلامي إذ نجد مالك بن ريب يشكو غربته وحنينه لأهله

25 - المرجع نفسه، ص 63.
26 - المرجع نفسه، ص 64.

وديار ه[27]:

تذكرت من يبكي علي فلم أجد سوى السيف والرمح الردين باكيا
أقلب طرفي فوق رحلي فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرمل مني نسوة لو شهدنني بكين وفدين الطبيب المداويا
فمنهن أمي وابنتاها وخالتي وباكية أخرى تهيج البواكيا

فالشاعر هنا يصف حاله حين شارف على الموت لا يتمنى سوى أن يزور بلاده، وينام فيها ليلة، وهو أيضا يحن إلى الذين كانوا يشفقون عليه ويعطفون.

ومن الشعراء الإسلاميين أيضا عمر بن أبي ربيعة الذي كتب إلى الثريا وهي في مشتاقا يقول[28]:

كتبت إليك من بلدي كتاب موله كمد
كئيبا وكف العينين بالحسرات منفرد
يؤرقه لهيب الشو ق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه بيد ويمسح عينه بيد

والشاعر في هذه الرسالة يصف لنا أشواقه إلى الثريا وحنينه إليها في أسلوب إنيق يشير من خلاله إلى صدق عواطفه التي تبدو حساسة لأن الشوق أحزن الشاعر وأدمع عينيه وأرقه مما اضطر الشاعر للكتابة تعبيرا منه عن ألمه لفراق حبيبته.

د - شعر الحنين في العصر الأموي:

إن شعر الحنين في العصر الأمي جاء مخاطبا للمحبوبة، في قالب الغزل أكثر منه حنينا إلى الديار كما هو الحال في العصور السابق ذكرها ولعل أكثر من غلبه الشوق والحنين إلى المحبوبة جميل بن معمر الذي لم يكن مخيرا في هجران محبوبته بثينة فيقول[29]:

هاجت فؤادك للحبيبة دار أقوت وغير آيها الأمطار
لم وقفت بها القلوص تبادرت مني الدموع وهاجني استعبار

27 - القاضي النعمان عبد المتعال: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص 196.
28 - السيد كاظم الكفائي: عصورالأدب العربي، ص 69.
29 - جميل بن معمر: الديوان، ص 410.

فهنا الشاعر يبكي لفراق بثينة وبعدها عنه بمشاعر صادقة يعبر فيها عن مدى شوقه وحبه لها. وفي قصيدة أخرى يصف فيها حاله بعد فراق محبوبته التي آل إليها يقول في هذه الأبيات البليغة[30]:

خليلي فيما عشتما هل رأيتمـا قتيلا بكى من حب قاتلها قلبـــي
فإن وجدت نعل بأرض مضلة من الأرض يوما فاعلمي أنها نعلـي
أبيت مع الهلاك وضيفا لأهلها وأهلي قريب موسعون ذو وفضـل

فهنا جميل ابتدأ بكلمة "خليلي" وهي بصيغة المثنى تقليد الشعراء الجاهليين، والشاعر في هذه الأبيات يصف حبه وحنينه لفراقها بحيث يقول أنه يبيت في العراء مع الهلاك وهم الصعاليك، وأهله موسوعون قريبون منه، فنجد الشاعر قد برع في تصوير شوقه ومدى معاناته لفراق بثينة وعيشه مع الصعاليك بعيدا عن أهله ودفء منزله، لكن حبه لها وتضحية من أجلها جعلاه يتحمل كل الصعاب. ويقول أيضا[31]:

خليلي عن لم تبيا لي ألتمـــس خليلا إذا أنزفت دمعا بكى ليـا
وقال خليلي: إن تيماء موعـــد لبثن إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمي بليلي المراميـا
ألم تك إذ أهلي وأهلك جيـــرة تخبرني إن بنت ألا تلاقيـــا
وما زادني انأي المفرق بيننـــا سلوا ولا طول التلاقي تلاقيــا

"التلاقي" في البيت الأخير: الأولى تعني التباغض.

ومن العشاق أيضا مجنون ليلى: قيس بن الملوح بن مزاحم العامري (ت 25 هـ) أحب ليلى بنت سعد من بني ربيعة وأحبته، ولما علم الناس بحبهما، لامه أهله وحاولوا منعه عنها فامتنع عن أمرهم مما أجبرهم على الترحال، ثم أكرهت على الزواج من ورد بن محمد وفي ليلى أنشد هذه الأبيات[32]:

أراد الله محلك في السلامى إلى من بالحنين تشوقينا
ولست وإن حننت أشد وجدا ولكني أسر وتعلنـينا

30 - إميل ناصيف: أروع ما قيل في الوجدانيات، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996 م، ص 36.
31 - المرجع نفسه، ص 37.
32 - المرجع نسه، ص 48.

ويقول في حنينه إلى أيام الوصال قبل الهجران[33]:

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وأيام لا تخشى على اللهو ناهيا

ومن الشعراء الأمويين أيضا قيس لبنى وهو قيس بن ذريح بن سنة الذي أحب لبنى وتزوجها، وبعد ذلك طلقها منه أبوه لأنها لا تنجب فأنشد فيها شعرا وهي مطلقة منه ومن حنينه إليها هذه الأبيات[34]:

ألا حي لبنى اليوم إن كنت غاديا وألمم بها من قبل أن تلاقيا
وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلق خياليا
خليلي مالي قد بليت ولا أرى لبيني على الهجران إلا كما هيا
ألا يا غراب البين مالك كلما ذكرت لبيني طرت لي عن شماليا

فالشاعر متألم لبعد لبنى عنه فهو عاجز عن تحيتها بعد أن طلقها، لهذا فهو يطلب من العادي نحوها أن يحييها عنه، كما يشكو من الأرق ويطلب النعاس لكن ذكرى لبنى تصرف النعاس عنه ولأنه نادم يلوم نفسه، هذا في أبيات أخرى يقول[35]:

فأصبحت الغداة ألوم نفسي على شيء وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه تبين غبنه بعد البياع

ويقول الصمة القشيري في الحنين إلى صاحبته "ريا" ووطنه للدلالة على طريقة تناولهم لموضوع الحنين في الشعر[36]:

حننت إلى "ريا" ونفسك باعدت مزارك من "ريا" وشعبا كما معا
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا
بنسي تلك الأرض ما أطيب الربى وما أحسن المصطاف والمتربعا
ولما رأيت الشر أعرض دوننا وجالت بنات الشوق يحنن نزعا

"ريا" هي صاحبته التي افترق عنها، و"البشر" اسم جبل، الشاعر في هذه الأبيات يصف شوقه على إلى ريا وإلى موطنه وأهله. ومن شعراء العصر الأموي جرير الذي كثر

33 - المرجع نفسه، ص 48.
34 - المرجع نفسه، ص 41.
35 - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق مصطفى أفندي، ط 2، 1932، ص 240.
36 - إميل ناصيف: أروع ما قيل في الوجدانيات، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1996، ص 51.

الحنين في شعره، خاصة الوقوف والبكاء على الأطلال رغم نبوغه في الهجاء، يقول[37]:

شاق قلبي تذكر الأحبـــاب واعترتني نوائب الأطـراب

فهو يحن إلى الأحباب، ويقول أيضا راثيا زوجته[38]:

لولا الحياء لهاجني استعبـار ولزرت قبرك والحبيب يزار

فلقد أراك كسيت أحسن منظر ومع الجمال سكينة ووقــار

لا يلبث القرا ناء أن يتفرقـوا ليل يكر عليهم ونهـــار

فجرير من خلال هذه الأبيات يحن إلى زوجته المفقودة.

هـ - شعر الحنين في العصر العباسي:

لقد تميزت أشعار العهد العباسي في معظمها بغياب العاطفة الصادقة وبالتصنيع والتجديد، ونلمس هذه المميزات في المدح بصفة خاصة لأنه كان خال من الصدق فهو في غايته مدح لأجل التكسب، كما نلمسها في غيره من الأغراض كالرثاء والغزل ولكن بالرغم من ذلك لا يمكن تعميم الحكم، والدليل أن من الشعراء من عرف الفاجعة ومر بظروف أليمة في حياته، فقد تميزت بعض الأشعار بعاطفة الحزن من جراء الفقد والفراق والاغتراب، فكانت أشعارا وجدانية تتغنى بالحنين، مؤثرة في نفس القارئ لأنها كانت تروي ما يمر به الشاعر من تجارب مؤلمة في وصف دقيق لحالته النفسية.

والحنين ظاهرة ميزت بعض الأشعار في العهد العباسي في المرثيات أو في قصائد الغزل أو في شعر الغربة، ومن أكثر شعراء العصر العباسي تجرعا لمآسي الشاعر ابن العباس بن جريح المعروف بان الرومي (835 م – 896 م) الذي توالت عليه المحن إذ مات والده، ثم أخوه في عز شبابه، ثم أبناؤه الثلاثة وزوجته، كما التهمت النيران بعض أملاكه واغتصب الظلم البعض الآخر.

وله ديوان يذكر فيه رثاءه، ولوعة الفراق، وشفاءه من الفراق، ووحشته، وسهره في الظلمات، ودموعه. ومن يقرأ شعره يحزن للشاعر أكثر مما يحزن على الفقيد[39]، وفي

37 - السيد كاظم الكفائي: عصور الأدب العربي، ص 71.
38 - إميل ناصيف: أروع ما قيل في الوجدانيات، ص 55.
39 - إميل ناصيف: المصدر السابق، ص 82.

رثاء ولده الأوسط[40]:

إني وإن متعت بابني بعــده لذاكره ما حنت النيب في نجد
وأولادنا مثل الجوارح أيهــا فقد كان الفاجع البين الفقــد
محمد ما شيء توهم سلــوة لقلبي إلا زاد قلبي من الوجـد
وأنت وإن أفردت في دار وحشة فإني بدار الأنس في وحشه الفرد

يبدو ابن الرومي من خلال هذه الأبيات مفجوعة لفراق ولده، فنجد عاطفته نابعة من قلب صادق عرف مرارة فقد الابن، فهو يقارن حنينه لابنه بحنين الناقة المسنة في نجد أي أنه سوف يذكره إلى أن يموت كانقطاع حنين النيب لفنائها.

ومن جهة أخرى نجد أن العصر العباسي امتاز بأشعار تغلبها الصنعة اللفظية وبراعة التشبيه، أكثر من صدق وتدفق العواطف، فكان مدحهم بغرض التكسب والمنصب، ورثاؤهم متكلفا كما جاء في مرثية أبي العلاء المعري لأبي حمزة[41]:

ودعا أيها الحفيان ذاك الشخص إن الوداع أيســر زاد
واغسلاه بالدمع إن كان طهـرا وادفناه بين الحشي والفؤاد

وهذه الأبيات في ظاهرها تبرز مدى وقع فراق أبي حمزة في نفس الشاعر ومكانته في قلبه الذي فجع بفراقه.

كما نلمح مظاهر المبالغة والتكلف في الحزن مما يعطي القصيدة طابع الكآبة والزيف معا، ففي أشعار أبي العتاهية حنين يختلف عن حنين غيره من الشعراء، فهو في شعره يشكو غربته في الدنيا التي يبدو ناقما عليها فيقول[42]:

كأني بالديار قد خربـت وبالدموع الغزار قد سكبـت
من لم يسعه الكفاف مقتنعا ضاقت عليه الدنيا بمار حبت
نحن في دار بـلاء وأذى وشفاء وعناء وعنـــت
منزل ما يثبت المرء بـه سالما إلا قليلا إن ثبـــت

40 - المرجع نفسه، ص 84.
41 - سراج الدين محمد: موسوعة مبدعون (الرثاء في الشعر العربي)، دار الكتب، بيروت، ط 1، 2000، ص 44.
42 - أبو العتاهية: الديوان، ص 24 - 25.

ويقول أبو فراس الحمداني (320 هـ- 357 هـ)[43]:

أراني وقومي فرقتنا مذاهــب وإن جمعتنا في الأصول مناسب
فأقصاهم أقصاهم من مساءتــي وأقربهم مما كرهت الأقــارب
غريب وأهلي حيث ماكرنا ناظري وحيد وحولي من الرجال عصائب

فالشاعر يشكو غربته ووحدته بالرغم من وجود رجال من حوله.

هذه هي مراحل شعر الحنين عند المشاقة التي بدأتها بالعصر الجاهلي ثم العصر الإسلامي والأموي إلى غاية العصر العباسي، هذا عند المشارقة، لكن البداية الحقيقية لظاهرة الحنين في الشعر العربي كانت بداية عصر الدولة الأموية في الأندلس نتيجة الاغتراب وسقوط المماليك.

فالمشارقة لهم فضل السبق إلى شعر الحنين لكن الأندلسيين توسعوا فيه أكثر من المشارقة من حيث الجودة والوفرة وقوة وصدق العاطفة، والسبب يعود لسقوط المدن الأندلسية على يد الإسبان، فعاش الأندلسيون الاغتراب والتهجير، وفراق الأهل، فذاقوا مرارة التشتت والضياع، في السجون الذي ولد الشعور بالوحدة والشوق للأندلسيين والصاحب.

فنظم الشاعر وهو في السجن، كما نظم في الحنين إلى محبوبته ووطنه والظاهر التي ميزت شعر الأندلسيين هي رثاء المدن التي توالى سقوطها الواحدة تلو الأخرى، ولعل القصيدة التي أرخت لمثل هذه الأحداث هي مرثية أبي البقاء الرندي الذي بكى مدن الأندلس وتحصر على حالها الذي آلت إليه من خراب ودمار فيقول[44]:

دهى الجزيرة أمر لا عزاء لــه هوى له أحد وأنهد ثهــلان
فاسأل بلنسية: ما شأن مرسيــة وأين شاطبة أم أين جيــان
وأين قرطبة دار العلوم، فكــم من عالم قد سما فيها له شأن؟
وتبكي الحنيفية البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمـان

43 - محمد عبد المنعم خفاجي: الآداب العربية في العصر العباسي الثاني، دار الطباعة الحديثة، مصر، (د. ت)، ص 196.
44 - علي جواد الطاهر وعبد الغفار الحبوبي وعبد الرضا صادق: المنهل في الأدب العربي، مطبعة المعارف، بغداد 1962 م، ص 197.

على ديار من الإسلام خاليــة وقد أقفرت ولها بالكفر عمران

هذا الشاعر يذكر (بلنسية – مرسية – شاطب – جيان - قرطبة) وهي مدن أندلسية، وأبو البقاء يرثي هذه المدن لأنه عاصر سقوطها وكان لهذا أثر عميق دفعه إلى تسجيل الأحداث من خلال هذه القصيدة.

فقد أصاب المسلمين في الأندلس باستلاء الإسبان عليهم وعلى مدنهم أمر عظيم، فلقد خلت البلاد من الإسلام وأصبحت المساجد كنائسها.

3- أنواع الحنين:

تعددت أنواع الحنين فمن بينها (الحنين إلى الديار- الحنين إلى الحبيبة - الحنين إلى الأهل والأقارب - الحنين إلى الصديق - الحنين إلى الماضي والشباب).

أ - الحنين إلى الوطن والديار:

ويتمثل الحنين إلى الوطن في الشعر العربي في الوقوف على الأطلال والبكاء حرقة من الشوق إلى العودة إلى الوطن البعيد الذي سكن حبه في قلب الشاعر منذ الصغر، فحب الوطن عاطفة إنسانية نبيلة تنمي الشعور بالانتماء إلى للقبيلة وللقوم وللأرض. فكان ارتباط الشاعر بالأرض التي شب فيها قويا لا يتخير مع مرور الزمان وبعد المكان، وقد ذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لأجلها أنه لا يستطيع أحد أن يعيش هنيئا في بعد عنه يقول(45):

ولي وطن آليت ألا أبيعــه ولا أرى غيري له الدهر مالكا

فقد ألفته النفس حتى كأنــه لها جسد لولاه غودرت هالكا

وحببت أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالـك

وإذا اذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلـك

ويقول امرؤ القيس(46):

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

لقد عرف العربي حب الوطن والحنين إليه منذ أقدم الأزمان فحمل لنا الشعر العربي

---

45 - د. عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، ط 2، بيروت 1976، ص 217.

46 - امرؤ القيس: الديوان، ص 21.

صورا رائعة من أشواق الشعراء إلى أوطانهم ومرابعهم ومراتع صباهم، كما جاء في المقدمة الطللية لمعلقة امرؤ القيس التي سبقت ذكرها في البحث الثاني من هذا الفصل.إن الشعور بالانتماء واضح من خلال الشعراء إلى أوطانهم، وقد بين الله عز وجل فضل الوطن وكلف النفس بالتضحية في سبيله في قوله تعالى: "ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم، ما فعلوه إلا قليلا منهم"[47].

ويقول أحد الشعراء في موضوع الغربة وهو أبو بكر محمد الزبيدي[48]:

الفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربة أوطان

فهو يعتبر الوطن متعلق بالوضع المادي للإنسان، وأن المال قد يغني عن الوطن الحقيقي ويحل مكانه في ديار الغربة، لكن هذا لي المعلقات المشهورة وغيرها من قصائد الشعراء المتغنية بحب الوطن والحنين للعودة إليه بعد الترحال، وطول البعد وتجسد ذلك في استهلالهم بذكر المنازل والقفار والوقوف على الأطلال وبكائها، فكانوا يبدؤون قصائدهم بالحنين إلى الديار لأهمية ذلك عندهم.

يقول أبو الحسن العنبسي[49]:

إن عاد لي وطني اعترفت بحقه إن التغرب ضاع فيه عمري

وهنا يبرز الشاعر قيمة الوطن فهو يعتبر ما أمضاه من عمره في الغربة ضائع من حياته، كما يرجو عودة وطنه إليه ليعترف بحقه. ويقول المتنبي يشكو غربته ويشبهها بغربة الأنبياء[50]:

وما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهــود

أنــا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمــود

فالشاعر يبرز من خلال أبياته معاناة المغترب بعيدا عن وطنه وأهله، وهذا يوحي بأن هناء واطمئنان النفس في موطنها لا في سواها.

ب- الحنين إلى الحبيبة:

47 - سورة النساء، الآية 66.

48 - سراج الدين محمد: الحكمة في الشعر العربي (موسوعة روائع الشعر العربي)، دار الراتب، ط1، بيروت (د. ت)، م 1، ص 70.

49 - المصدر نفسه، ص 71.

50 - المتنبي: الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، مصر، ج 1، ص 341.

لقد برع الشعراء العرب في غرض الغزل فطرقوا مواضيع مختلفا فيه كالحنين إلى المعشوق المفارق، فاشتهرت القصص الرومانسية المؤرخة للشعراء العشاق أمثال قيس وليلى، وقيس ولبنى، وجميل وبثينة، وعنترة وعبلة ولعل أشعار هؤلاء العشاق ما جعلها تتصدر جميع قصص الحب عند العرب، فكل شاعر له تجربة الفراق والهجران والمعاناة من طول البعاد وفي هذا الموضوع يقول جميل بن معمر(51):

أبثينة إنك ملكت فاسجحي   وخذي بحظك من كريم واصل

فلرب عارضة علينا وصلها   بالجد تخلطه بقول الهازل

فقد اشتهر جميل بحب بثينة واكتوى بنار فراقها، فجاءت قريحته بشعر يفيض حنينا.

كما أن عنترة بن شداد العبسي بحبه لعبلة التي فرق بينهما القدر رغم القرابة بينهما لأن عمها شداد الذي أنجبه من عبدة عنده فلم ينسبه إليه وحال دون وصاله عمه مالك ومنعه من رؤيتها وتزوجت رجلا آخر، لكن عنترة بقي على حبها وزاد شوقه إليها، فكان يتغزل بها مفتخرا بنفسه في شعر تميز بحسن التصوير فيقول(52):

قف بالديار وصح إلى بيداها   فعسى الديار تجيب من ناداها

دار لعبلة شط عنك مزارها   ونأت لعمري ما أراك تراها

يا صاحبي قف بالمطايا ساعة   في دار عبلة سائلا مغناها

ويقول أيضا(53):

ولقد ناح في الغضون حمام   فشجاني حتيته والنحيب

بات يشكو فراق ألف بعيد   وينادي: أنا الوحيد الغريب

فاتركي الوجد والهوى لمحب   قلبه قد أذابه التعذيب

في هذه الأبيات يقترن وصف الشوق وذكر الصدارة بمناجاة الحمام، لأن الحمام مضرب المثل في الألفة وهديله أشبه شيء بالحنين إلى الألف وعنترة في هذه الأبيات كما في غيرها يؤكد حبه لعبلة ويشكو الفراق والبعد عنها.

ويقول الحارث بن حلزة في معلقته(54):

---

51 - إميل ناصيف: المصدر السابق، ص 36.

52 - عنترة بن شداد: الديوان، ص 110.

53 - المصدر نفسه، ص 21.

آذنتنا ببينها أسمـــــــاء ورب ثاو يمل منه الثواء
بعد عهد لنا شمـــــــا ء فأذنى ديارها الخلصـاء
فالمحياة فالصفاح فأعنـــا ق فتاق فعذاب فالوفـاء
فرياض القطا فأودية الشـــر بب فالشعبتان فالأبـلاء
لا أرى من عهدت فيها فأبكي ال يوم دلها وما يجبر البكاء

نجد الشاعر من خلال هذه الأبيات يشكو ألم فراق محبوبته بعد عهد لهما معا، في أماكن عددها الشاعر لنا، فالشاعر لما يكون في مواضع عهد أسماء بها يحن إليها ويغلبه الشوق ويقر بعدم جدوى البكاء الذي لا طائل منه.

ويقول أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري(55) :

طافت أسيماء بالرحل فقد هيج مني خيالـها طـربا
هل يبلغني ديارها حرج وجناء تفري النجاء والخبباء

وهو من أصحاب المعلقات، وفي هذين البيتين يشكو حنينه إلى محبوبته التي فارقها، ويسأل عن حالها. ويقول النابغة الذبياني(56):

عوجوا، فحيوا لنعم دمنـة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجـار؟
وقفت فيها سراة اليوم أسألهـا عن آل نعم، أمونا، عبر أسفـار
لولا حبائل من نعم علقت بهـا لأقصر القلب عنها أي اقتصـار
نبئت نعما على الهجران، علتبة سقيا ورعيا لذلك العاتب الزاري
رأيت نعما وأصحابي على عجل والعيس للبين قد شدت بأكـوار

والشاعر في هذه الأبيات يشكو من فراق حبيبته، التي ذكر اسمها في كل بيت من هذه الأبيات وهذا دليل على مكانتها في قلبه ومدى تأثير الهجران فيه. ويقول الأعشى في الحنين(57):

خالط القلب هموم وحزن وادكار بعدما كان اطمـأن

54 - الزروني: شرح المعلقات السبع، ص 190 - 191.
55 - لبيد بن ربيعة: الديوان، ص 12.
56 - النابغة الذبياني: الديوان، ص 27.
57 - الأعشى: الديوان، ص 195.

فهو مشغوف بهند هائـم يرعوي حينا، وأحيانا يحن

والشاعر هنا يصف لنا اضطراب قلبه الذي هام حبا بهند فهو مشغوف بها، ويحن إليها. ويقول سلامة ابن جندل في الحنين إلى أسماء معشوقته[58]:

يا دار أسماء بالعلياء من إضــم بين الدكادك من قو فمعصـوب

كانت لنا مرة دارا فغيرهـــا مر الرياح بساقي الترب، مجلوب

هل في سؤالك عن أسماء من حوب وفي سلام، وإهداء المناسيــب

ويقول عمرو بن قميئة[59]:

غشيت منازلا من آل هنـد قفارا بدلت بعدي عفيا

تبيين رمادها ومخط نؤدي وأشعث ماثلا فيها ثوبا

فكادت من معارفها دموعي تهم الشأن ثم ذكرت حيا

فنجد من خلال الأبيات السابقة أن الأماكن كانت تذكر الشاعر بحبيبته كما هو الحال مع سلامة ابن جندل الذي يبعث بسلامه إلى من يحب مسائلا إذا كان في ذلك حوب أو خطأ. وعمرو بن قميئة أيضا يصف لنا منازلا بدلت بعده عفيا، ويذكر تلك المنازل لأنها لأهل هند محبوبته التي شده الحنين إليها حين رأى تلك القفار. فالحنين إلى المحبوبة كان متداخلا مع الحنين إلى الأماكن فكل يذكر الشاعر بالآخر.

ج- الحنين إلى الأهل والأقارب:

وما أكثر الحنين إلى الأهل في الشعر العربي، فالإنسان اجتماعي بطبعه، لا يقدر أن يعيش في وحدة منعزلا عن أسرته وخاصة العربي، الذي مجد الروابط الأسرية، فكان الشاعر العربي يفتخر بنسب أبيه وأجداده، وينفطر قلبه إذا فقد أحد أفراد عائلته، ويبقى يذكره رغم مرور السنين كما هو الحال بالنسبة للشاعر عدى بن ربيعة (531 م) الذي فجع بقتل أخيه وائل بن ربيعة الملقب بـ "كليب" ولقب عدي الزير سالم أبو ليلى المهلهل وقد كان لأخ المهلهل شأن في حياته قبل أن يقتله ابن عمها جساس بن مرة غدرا، فأقسم المهلهل على الثأر لموت أخيه والعزوف عن الملذات خاصة وأنه كان سكيرا وزير نساء، فقد أحب أخاه حبا شديدا وفجع بفراقه، واعتبر ثأره لأخيه شامل لقبيلة بكر كلها وليس ثأرا من القاتل

58 - سلامة بن جندل: الديوان، ص 170 - 18.
59 - عمرو بن قميئة: الديوان، ص 20.

فقط، وهذا لمكانة أخيه في قلبه ومرارة فقده فكان فراق أخيه شاقا وصعبا، فبكى المهلهل كليبا بحرقة، مع النساء التغلبيات فسخر منه الرجال، وقد أنشد معظم شعره في رثاء أخيه وفي هذه الأبيات التي يشكو فيها حنينه يقول[60]:

أهاج قداء عيني الإدكـار   هدوا فالدموع لها انحـدار

كيف أنساك يا كليب ولما   أقص حزنا ينوبني وغليلا

وقد شمل الحنين في الشعر العربي مختلف أفراد الأسرة من أب وأم وأولاد والأقارب وهذا يدل على متانة العلاقة بين الأفراد وصعوبة الافتراق.

كافة الأسرة نظرا لتمسك العرب بروابط الدم، خصوصا بعد مجيء الإسلام حيث يدعو الدين إلى صلة الرحم، وجاء في شعر أبي الطيب المتنبي حنينا صادقا لفقده جدته التي رثاها في أبيات رائعة[61]:

أحن إلى الكأس التي شربت بها   وأهوى لمثواها التراب وماضما

فوا أسفا أن لا أكب مقبـــلا   لرأسك والصدر الذين ملئا حزما

فهو يشتاق لتقبيل رأس جدته الذي استحال بموتها، ويتأسف لذلك وفي الحنين إلى الأم نجد لوعة الفراق والتجمل بالصبر في شعر الشريف الرضي، في رثاءه لأمه يقول[62]:

فارقت فيك تماسكي وتجملـي   ونسيت فيك تعززي وإيبائي

وتفرق البعداء بعد مـــودة   صعب فكيف تفرق القربـاء

نجده يصف شدة فراق القربا بقوله أن تفرق البعداء بعد المودة صعب فما بالك بتفرق القرباء وخاصة الأم يعتبرها الشاعر في أعلى منزلة لدرجة أنه بفراقها الصبر فلم على تحمل الفاجعة. ويقول الأود بن يعفر النهشلي (ت 600 م) وهو شاعر جاهلي[63]:

ألا يا سلمي قبل الفراق ظعينـــا   تحية من أمسى إليك حزينا

تحية من أظننته متوهجـــــا   لصرم حبيب قد أتى أن يبينا

تحية من لا قاطع حبل واصـــل   ولا صارم قبل الفراق قرينا

60 - المهلهل: الديوان، ص 6.

61 - إميل ناصيف، أروع ما قيل في الوجدانيات، ص 79.

62 - موسوعة روائع الشعر العربي: الأهل والأقارب في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 2000 م، م 7، ص 60.

63 - الأسود بن يعفر النهشلي: الديوان، ص 32.

هم الأسرة الدنيا وهم عدد الحصى وإخواننا من أمنا وأبينـــا

ويقول الشاعر عمرو بن قميئة لما كبر في العمر وبقي وحيدا[64]:

كبرت وفارقني الأقربـون وأيقنت النفس أن لا خلـود

وبان الأحبة حتى فنــوا ولم يترك الدهر منهم عميدا

والحكمة التي نستخلصها، هي أن الأحوال تتعثر فبعد اللمة يأتي التفرق.

د- الحنين إلى الصديق والأنيس:

اشتهر شعراء العرب بالصحبة التي تدوم إلى الهرم، فكان لكل شاعر منهم صديق يرافقه في الكر والصيد والتجارة والأسفار كما يتقاسم معه كل همومه وأفراحه، لهذا فقد كان لغياب الصديق أثر بالغ في نفس الشاعر إذ يجسد غربة حقيقية هذا الغياب والتفرق، ونلمح ذلك في أشعارهم، إذ يقول أبو فراس الحمداني (932 م- 968 م) وهو أسير لدى الروم يعاني الغربة والوحدة في سجنه[65]:

مصابي جليل والعزاء جميل وضني بأن الله سوف يديل

جراح وأسر واشتياق وغربة أحمل إني بعدها لحمــول

تناساني الأصحاب إلا عصيبة ستلحق بالأخرى غدا وتزول

فحنين الشاعر إلى الصديق واضح في قوله "تناساني الأصحاب" أي أنه كان لديه أصحاب وتجاهلوه لأنه في السجن وهذا آلم الشاعر.

كما أن الشاعر أبو العتاهية الذي اشتهر بنقمته على الدنيا وغربته فيها يشتاق إلى صاحب يؤنسه في قوله[66]:

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

هنا الشاعر ليس له صديق، فهو يشكو غربته التي لا يشفيها إلا ظل الصاحب.

و- الحنين إلى الشباب والماضي:

خامسا، وكختام لأنواع الحنين التي اخترتها من بين أنواع عديدة، هو الحنين إلى أيام الصبا، التي يتحصر فيها الشاعر على شبابه الذي ولى وذهب كما يحن من خلال قصائده

64 - عمرو بن قميئة: الديوان، ص 25.
65 - إميل ناصيف: أروع ما قيل في الوجدانيات، ص 71.
66 - أبو العتاهية: الديوان، ص 89.

إلى أيام الصبا والماضي المجيد بعد الهرم والشيب.

فقد طرق معظم الشعراء قديما وحديثا لهذا النوع من الحنين الذي يعتبر حكم ومواعظ تؤخذ بمحمل الجد، فنجد الشعراء الذين حنوا إلى الشباب في أشعارهم، كانوا في سن كبير من العمر، ناقلين لنا تجاربهم.

والعبر منها تستخلص من ذاتية الشاعر وترجمته لمشاعر الحنين إلى الماضي المجيد، وذكره للهرم والمشيب وأروع ما قيل في هذا الموضوع أبيات للشاعر أبي العتاهية(67):

بكيت على الشباب بدمع عيني فلم يغن البكاء ولا النحيـب
فيا أسفا أسفت على الشبـاب أنعاه الشيب والرأس الخضيب
عريت من الباب وكنت غضا كما يعرى من الورق القضيب
فيا ليت الشباب يعود يومـا فأخبره بما فعل المشيـب

وهذه الأبيات تنم عن قيمة الشباب، فاغتنامه يجنب الحصرة على ما فات، والشاعر هنا يتمنى عودة الشباب ليخبره بمعاناته في المشيب والتقدم في ااعمر بعدما كان غضا قويا.

ويقول الأسود بن يعفر النهشلي(68):

هل لشباب فات من مطلب أم بكاء البائس الأشيـب
بدلت شيبا قد علا لمتـي بعد شباب حسن معجب
صاحبته ثمت فارقتـه ليت شبابي ذاك لم يذهب

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يبكي شبابه الذي ذهب وأبدل بشيب، ذلك الشباب الذي صاحبه ثم فارقه والشاعر يتمنى لو لم يذهب شبابه في أسلوب يوحي بالحصرة والحنين إلى الشباب.

ولسلامة بن جندل التميمي (ت 600 م) بائيته التي استرجع في مطلعها ذكرى شبابه، وبكى على ما خلا من أيامه التي يحن إليها، حيث ملذات الشباب التي لا يجدها في المشيب يقول(69):

أودى الشباب حميدا، ذو التعاجيب أودى، وذلك شأن وغير مطلوب

---

67 - المصدر نفسه، ص 22.
68 - الأسود بن يعفر: الديوان، ص 6.
69 - سلامة بن جندل: الديوان، ص 4.

ولى حثيثا، وهذا الشيب يطلـب لو كان يدركه ركض اليعاقيب
أودى الشباب الذي مجد عواقبـه فيه نـلذ، ولا لـذات للشيـب

فالحكمة من أشعار العرب التي طرقت موضوع الحنين إلى الشباب وما كان بالماضي من أمجاد، هي حكمة مأخوذة من أشخاص عاشوا هاتين المرحلتين المتمثلتين في الشباب والشيخوخة فهم أقدر على وضع صورة تمايز بين كل من حياة الشباب وحياة المشيب فيصفون أيام الشباب المليئة باللهو والمرح والقوة أيام المشيب التي يعانون فيها من الضعف والعجز، فهم الأعرف بإحساس الحنين إلى الصبا لأنهم يشعرون به فشوقهم وحنينهم وبكاؤهم على الشباب يبرز من خلال تمني بقائهم في الشباب بأمجاده وملذاته.

والشاعر عمرو بن قميئة يقول بهذا الصدد[70]:

يا لهف نفسي على الشباب ولم أفقد بـه إذ فقـدته أمـما
فقد كنت في معية أسـر بـها أمنع ضميني وأهبط العصما

ويقول جرير في قصيدة يصف فيها الشباب وما يعقبه من مشيب، وهذه أبيات منها يقول فيها[71]:

أمسى شبابك عنا الغض قد رحلا ولاح في الرأس شيب حل فاشتعلا
إن الشباب الذي كـنا نـزن بـه ولى ولم نقض من لذاته أمـــلا
ولى الشباب حميا غير مرتجـع واستبدل الرأس مني شر ما بـدلا
شيب تفرع أبكاني موضحـــه أضحى وحال سواد الرأس فانتقلا
ليت الشباب حلت بنار رواحلـه وأصبح الشيب عنا اليوم منتقـلا
أودى الشباب وأمسى الموت يخلفه لا مرحبا بمحل الشيب إذ نـزلا

من خلال أبيات جرير نلاحظ موضوع الحنين إلى أيام الشباب الذي رحل دون رجعة وولى مع لذاته، كما يعتبر الشاعر أن الشيب شر ما أبدل به الشباب فهو يبكي لحاله بعد أن شاخ وزاره المشيب الذي لا يرحب به متمنيا أن تحل به رواحل الشباب.

ويقول ابن خفاجة الأندلسي رافضا حياته الراهنة وهو يسترجع ذكريات الماضي[72]:

70 - عمرو بن قميئة: الديوان، ص 10.
71 - جرير: الديوان، ص 268 - 269.
72 - ابن خفاجة: الديوان، دار الصادر، بيروت (د. ت)، ص 310.

فما ناب عن خل الصبا، خل شيبة ولا عاض من شرخ الشباب، خضاب

فما أكثر الشعراء العرب الذين حنوا إلى أيام الصبا عبر العصور في الشعر العربي. يقول الأحوص(73):

بكيت الصبى جهدي فمن شاء لا مني ومن شاء آسى البكاء وأسعـدا

وإني وإن عيرت في طلب الصبـى لا علم أني لست في الحب أوحدا

فالشاعر في هذه الأبيات يبكي ويحن إلى أيامه الخالية.

فقد غلب الحنين الشعراء والشوق إلى أيام العز والجاه حيث القوة، وما جعلهم ينظمون في هذا الموضوع هو معاناة العز والجاه حيث القوة، وما جعلهم ينظمون في هذا الموضوع هو معاناة الشيخوخة فنجد الشاعر الأسود بن يعفر النهشلي لما أصبح مسنا وأعمى يقوده الناس في كل مذهب فيقول في مفارقة الشباب وهو الشباب وهو يحن إليه(74).

73 - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق مصطفى أفندي، ص 205.
74 - انظر، الأسود بن يعفر: الديوان، ص 33.

الفصل الثاني

الحنين في الشعر الأندلسي

1 - عوامل الحنين في الشعر الأندلسي

أ - العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية

ب - عامل الرحلة

ج - سقوط المدن الأندلسية

د - عامل الأسر في السجون

2 - الحنين إلى الوطن

3 - الحنين إلى الأهل والأقارب

1 - عوامل الحنين في الشعر الأندلسي:

أ - العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية:

لقد شهدت بلاد الأندلس أحداثا تاريخية وسياسية، أثرت على الحياة الاجتماعية للأفراد عقب سقوط الخلافة الأموية.

فجراء هذه التأثيرات على الحياة الاجتماعية للفرد وجد الأندلسيون أنفسهم مرغمين على الترحال بغية تأمين الحياة الكريمة لأسرهم في ظل الأوضاع في مدن الأندلس.

فقد عرف الشاعر الأندلسي مظاهر الحنين، وشهد شتى أنواع الغربة فنجده يعاني الشوق وهو في الغربة بعيدا عن أهله ووطنه، كما نجده أيضا مفجوعا في غيابات السجون خلف القضبان، فكيف لا يشتد حنيه وهو بعيد عن دياره وأهله مشتاق إلى متنفس يبهجه بين جنات الأندلس الساحرة رفقة الأحباب والأهل، متنعما بالحرية خارج الأسر.

ونجد الشاعر أيضا يشكو أشواقه إلى أيام الصبا في أيام الهرم، وإلى باكيا حال تلك الأماكن التي كان يلهو فيها مع صحبه ويتحسر على دمارها، متأملا الطلال باكيا حال تلك الأماكن التي غيرتها السنون إلى أسوء حال إلا أنها في قلب الشاعر رغم دمارها وخرابها أجمل الأماكن لأنها تحمل كل ذكريات الشاعر الخالية. وإذا أردنا أن نحصر عوامل الحنين فإننا نجدها متمثلة أساسا في: عامل الرحلة، والأسر في السجون، وسقوط المدن والمماليك.

وقد بين لنا ابن الخطيب ما أصاب المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف بقوله: "ذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بمحل قريب وخطة المجاورة بعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة نسب ولا في الفروسية سبب ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار وقسموا المدائن الكبار، وجابوا العملات والأنصار، وجندوا الجنود وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب"[1].

ومن خلال قول الخطيب تبرز لنا حقيقة ما عاشه أهل الأندلس من الفتن فقد تصرف ملوك الطوائف مع رعاياهم بكثير من الاستبداد والظلم والقسوة، وقد دفع أهل الأندلس الثمن غاليا، ويقول بان الخطيب أيضا: "عن محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي: قد

1 - لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، تحقيق إ. ليفي بروفسنال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956 م، ص 144.

كان جسورا مضطرب الرأي، ويقال أن عدة من تبعه من سفله قرطبة، فأثبت أسماءه بالعطاء خمسون ألفا واتهبا الزاهرة فتقسمت الأيدي كل ما اشتملت عليه من مال وآلة ومتاع... ولما فرغ من تحويل ما كان بالزاهرة، أمر بهدمها، وحط أسوارها وقلع أبوابها وتشييع قصورها وطمس آثارها"[2].

وكان هذا المهدي واحدا من أولئك الذين أثر طغيانهم فوق أرض الأندلس بكل أنواع الظلم، حتى استحالت حياة الأندلسيين نارا ضاربة.

وغيره من ملوك الطوائف كثير، الذين ذاق بهم سكان الأندلس ذرعا وبحكمهم، فقد سعى كل واحد من هؤلاء الملوك إلى تحقيق طموحاته على حساب الأندلسيين الأمر الذي انعكس على الحياة الاجتماعية، بعد أن صار لا يحسب للأندلسيين أي حساب فسجن من سجن وارتحل من ارتحل ومنهم من ظل في داره يحيى حياة الغربة في موطنه وسط أهله مما دفع بالشعراء للنظم في موضوع الحنين والغربة.

فمن خلال أشعار الأندلس نستطيع التأريخ لأبرز الأحداث التي عرفتها هذه البلاد، فقد عرفت الحروب ضد الإنسان التي لم تكن لتهدأ إلا وتثور من جديد، كما مر من الحكم الأندلسي مجموعة من الدول، وكان الأندلسيون بين قوة وازدهار، وبين تخاذل وضعف[3]، فالفتنة التي أصابت الأندلس عقب سقوط الخلافة وانقسام الأندلس إلى طوائف وإمارات متصارعة فضلا عن تربص المماليك المسيحية بها، والحروب المستمرة التي لا تكاد تتوقف، جعلت حياة الأندلسيين مضطربة، لا ينعم فيها أحد - بما في ذلك الشعراء - بالاستقرار.

فعرف الشعراء مرارة الاضطهاد والصراع وذلك يبرز من خلال أشعارهم المليئة بالأسى والحزن والشكوى والحنين إلى الاستقرار.

فقد عم الخراب وسقطت المدن سواء على أيدي النصارى أو بسبب الصراعات الداخلية. ولاشك أن العامة من الناس هم من كانوا يدفعون الثمن لإعداد الجيوش وكانت تؤخذ منهم الأموال النقدية كجزية ملوك النصارى، استرضاء لهم ومنعا لشرهم، ولم يمر

2 - لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 111.
3 - أشرف علي دعدور: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، دار النهضة الشرق، القاهرة، ط1، 2002 م، ص 53.

كثير من الوقت حتى أصبحت المماليك المسيحية ليست لوحدها مصدر خطر على الأندلس، فقد قامت دولة المرابطين بالمغرب، فأصبحت عروش ملوك الطوائف مهددة بالسقوط...[4].

فهده الأحداث السياسية التي هزت دولة الأندلس كانت ذات أثر على المجتمع الأندلسي مما ترك كل أنواع الحزن تحوم في أوساط أهل الأندلس فقد أثر هذا كثيرا في نفسية أهل الأندلس خاصة الشعراء الذين دفعتهم هذه الصراعات والأزمات السياسية والتاريخية والاجتماعية إلى التعبير عن رفضهم للأوضاع والسخط على الحكام بشعر يفيض أسى وألما على حال الأندلس، ووصفا منهم للأحوال الاجتماعية المتهورة التي ميزها الشقاء والغبن، فخرقت الهيبة واشتعلت الفتنة، واعتلت المعاصي وظغن الأمن وحلت الفاقة كما يذكر ابن عذاري المراكشي ما أصاب الحياة المعيشية في الأندلس بقوله:

"والسعر كل يوم يزداد غلاء والأمر يتفاقم بشدة والناس يتوجهون إلى السواحل والبوادي، واشتد حال أهل الأندلس حتى أكل الناس الدم من مذابح البقر والغنم وأكلوا الميتة وكان قوم في السجن فمات منهم رجل فأكلوه..."[5].

ومن خلال هذا القول تبرز لنا الوضعية المزرية التي فرضت على أهل الأندلس مما دفع بهم إلى الترحال طلبا للرزق في بلاد المشرق وغيرها فوجدوا ألما آخر ينتظرهم في ديار الغربة لابتعادهم عن الأهل والأحباب وتركهم في أرضهم يعانون الشقاء والبؤس والظلم.

فالشاعر الأندلسي صور من خلال روائع القصائد التي وصلتنا حالتين تبدو فيهما معاني الحرمان فالأولى الحرمان من القوت ويسر المعيشة والثانية هي حالة الاغتراب وهو شعور أساه الحرمان أيضا فهو حرمان من التواجد في الوطن رفقة الأهل والأحباب.

فان كان لتلك الحياة أثر على الأندلس في ظل الخراب والظلم والفقر وحتى الجهل فإن شعراءها هم أكثر من غلبهم الأسى لأنهم لم يقدروا على تحريك ساكن فاكتفوا بالنظم فقط.

فتميزت أشعارهم بالتعبير عن رفضهم للأوضاع على الأعداء، فقد وجدوا في الشعر سبيلهم الوحيد لخلاصهم من القنوط اليأس ووجدوا أيضا متنفسا يشكون من خلاله أشواقهم وحنينهم إلى أيام الرخاء والأمن.

---

4 - المرجع نفسه، ص 61.
5 - المرجع نفسه، ص 58.

هذا الشعر الذي جاء به الشعراء كتصوير لمواقف الحكام وتعاملهم مع رعاياهم بأساليب الاستغلال والاستبداد وتسلط بعض الطبقات، وعموم الصراعات العنصرية وفقدان معنى الصداقة وتفشي الخلل والتفكك في المجتمع بشكل عام، كل هذا أثر في وجدان الشاعر المرهف الحس وكان ميلاد معاناة نفسية خاصة بعد زوال مكانة الشعراء وسقوط دولتهم وسيطرة الجهال على المر ويأسهم من استقامة الأوضاع[6].

ومن خلال هذه التغيرات التي طرأت على بنية المجتمع الأندلسي سياسيا واجتماعيا وثقافيا أصبح شعراء الأندلس يبكون ويشكون حال بلادهم التي يحنون إلى أيامها الزاهية الهادئة المشرقة متمنين عودة عهدها الأول المنير.

كانت هذه أبرز عوامل تدهور نفسية الشاعر الأندلسي التي ما كان لها سوى تفريغ آلامها في شعر ينبض بحب الوطن والحنين إلى أمجاد الأندلس واستقرار شعبها ولمتهم بعدما آلت إليه من تشتيت وفاقة وصراعات وفتن.

فيما سبق ذكرت العوامل السياسية والاجتماعية الممهدة لظاهرة الحنين في الشعر الأندلسي لكن ما كان حقا هو الدافع للنظم في هذا الموضوع هو مظاهر هذه الأحداث وكمظهر من هذه المظاهر نذكر:

ب - الرحلة:

والتي تندرج ضمن عامل الأحداث الاجتماعية والتي تأتت بدورها من جراء الأوضاع السياسية فقد عرف الكثير من الشعراء

حياة الغربة فمعظمهم ألف حياة الرخاء التي كانوا يحيونها فلما ضاقت بهم وجار بهم الزمان وانقلبت العزة إلى ذلة والرفاهية إلى فقر مدقع، اضطر الشاعر إلى الهجرة سعيا منه إلى جمع المال لإعالة أسرته وثمة عرف شعورا آخر كشعوره بالفقر والظلم في أرض، إنه شعور الغربة ومعاناة الشوق والحنين إلى الوطن والأهل والرفاق.

فكان الحنين في شعر المغتربين مرتبطا بذكر الأوطان والحنين إليها وإلى الحبيب المفارق والزوجة والأولاد والوالدين والأقارب.

وقد كتب عن الرحيل الشاعر ابن بقي وعن فراق الأحبة إذ تمر قافلة فينظر إليها

---

6 - المرجع نفسه، ص 119.

بحسرة ولا يستطيع أن يقول شيئا إلا في قلبه فيقول في مناجاة الأحبة[7]:

ركايبهم شــدوا

وفي سيرهم جدوا

سلمت ومـا ردوا

وقد علموا أني من البين مرتـاع

فموضوع الحنين كان سمة عند الشعراء المرتحلين، فقد أثر الارتحال سواء داخل تراب الأندلس وبين مدنها أو خارج الأندلس بالغا في نفوس الشعراء ولهذا نجد هؤلاء الشعراء تفننوا في وصف مشاعر الشوق والحنين والاغتراب.

وهذا نتيجة معايشتهم لظروف الغربة والابتعاد عن الديار والأهل.

ونجد من الشعراء الذين عرفوا الهجران ورحيل الأحباب الشاعر: ابن بقي الذي صور لنا معاناة الفراق وبعد الحبيب عنه، لتمضي الأيام فلا ذكر ولا خبر يصله فيقول[8]:

لقيت من البعـد

أسى جل عن صد

حبيبي مضى عني متى نجتمع ما عدو

فنلمح من خلال موشحة ابن بقي أنه لم يحظ بنظرة وداع من الحبيب ساعة المهجر فيزيد ذلك في عنائه وفي عذابه.

فالرحلة كانت ذات أثر عميق في قلوب المهاجرين، فهم لم ينسوا أرضهم وعائلاتهم، وحلمهم بالعودة إلى الوطن دائم يراودهم في اليقظة كما في المنام، فما أقسى شعور النازح المغترب وما أفجع الشوق إلى المفارق الراحل إلى أرض بعيدة عن أرض أهله التي شب فيها.

والشاعر الملك "يوسف الثالث" كان أشد بكاء وألما على فراق غرناطة حين أبعد عنها فنجده متشوقا إلى وطنه في هذه الأبيات[9]:

7 - عدنان محمد آل طعمة: موشحات ابن بقي الطليطلي وخصائصها الفنية، سلسلة كتب التراث، بغداد 1979 م، ص 126.

8 - المرجع نفسه، ص 126.

9 - يوسف الثالث، ملك غرناطة: الديوان، تحقيق، عبد الله كنون، معهد مولاي الحسن، تطوان، ص

أضحى الفؤاد بسيف البين مجروحا ومدمع العين فوق الخد مسفوحا
لم يبرح الكلف ببعدكـــم كأنه جسد قد فارق الروحـا
سقيا لغرناطة والله ما برحـت تلقي من البعد في قلبي تباريحا
طال اغتيالي عن أهل وعن وطـن وسامني زمني وجدا وتبريحـا

غربة الشاعر وحنينه واضحان من خلال هذه الأبيات، وقد كان من أبي الحسن بن أحمد بن سليمان "ابن فركون" أشعارا تجملت وتزينت بوصف الحنين إلى الديار وهو شاعر الملك "يوسف الثالث" المفضل.

وقد رافق يوسف الثالث الشاعر "ابن فركون" في خروجهما من غرناطة وتعرض لما تعرض له الملك يوسف الثالث من بعد وحرمان من الوطن، يقول ابن فركون[10]:

هل بعد طول تغربي وفراقـي أرجو اللقاء ولات حين تلاق
لما رحلت عن المنازل لم يـزل سكنى الغرام بقلبي الخفـاق
هي دار أحبابي وموضع صبوتي ومحل جيراني ورفع رفاقي
جار الزمان ببعدهم ولعلـــه يوما يجود بعادة الإشفـاق

فابن فركون في هذه الأبيات يشكو أشواقه، وآلامه فهو يحن إلى أرضه ومن عليها من أهل وأحباب، كما يعلن أيضا أن بلاد الله واسعة ليس بإمكانها أن تحويه وتنسيه وطنه أو تعوضه عنه.

وفي مظاهر الحنين في الشعر الأندلسي أنواع، فالبوح بمشاعر الشاعر من خلال نظمه كان متعدد السياقات إلا أن الحنين ظل مألوفا غيره متغير لدى الشعراء لأنهم عرفوا معاناة الارتحال كما هو حال ابن سعيد الذي برع في شعر الحنين فها هو يشكو حنينه في هذه الأبيات من إحدى قصائد حنينه إلى دياره[11]:

أقلقه وجده فباحـــا وزاد تبريحه فناجـــا
ورام يثني الدموع لمــا جرت فاز له جماحـــا

29.
10 - ابن فركون: ديوان ابن فركون، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ط1، الرباط، 1978، ص 259.
11 - المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968 م، ج2، ص 307.

يكابد الموت كل حيـن لو أنه مات لاستراحـا
ينزو إذا ما الرياح هبت كأنه يعشق الرياحـا
كم قد بكى للحمام كلما يعيره نحوها جناحـا

فهذه الأبيات قالها الشاعر وهو بمرسية شرق الأندلس وهو يصور معاناته لفراق ربوع إشبيلية، فمن شدة الشوق لم يكبح جماح دموعه، فهو يرى الموت بعينيه كل ساعة بعيدا عن وطنه ولو أنه مات لاستراح.

ومن عوامل الحنين في الشعر الأندلسي أيضا، ضياع مكانة الشعراء في مجتمعاتهم وهذا إثر ما دار من صراع ثقافي وسياسي في الأندلس فاختلت القيم وانعكست الأوضاع فأحس الشاعر والمثقف وكل ذي فكر بالضياع والغربة داخل مجتمعه، فانبتت الصلة بينهم وبين هذا المجتمع، وتغربوا فيه فنرى من التغرب ما عبر به الشعراء بدم أهل زمانهم وإحساسهم بالغربة النفسية والحنين إلى مكانتهم وسابق عهدهم ومجدهم الأدبي المرموق فجراء الفتن التي عرفتها مدنهم وتهاطل الأزمات والمصائب على أهل الأندلس فكشفوا عيوب زمانهم والمساوئ التي لم يسلم منها حكم دولتهم، ليصلوا إلى التعبير عن ضياع مكانتهم وعدم اعتراف مجتمعهم بما يتميزون به من خصال وصفات لا يعرف من حولهم بقيمتها ولا يقدرون أصحابها حق قدرهم[12].

إن استعراض موقف الشعراء من زمانهم يعطينا لمحة عن أحداث ميزت فترات تاريخية كان لها انعكاس كبير في نفوس الشعراء، الذين فقدوا الانتماء إلى مجتمعاتهم ونظروا بعيون رافضة للأوضاع وناقدة لها، ونظرا لمعاناة هؤلاء الشعراء وشكواهم من زمن طغى فيه البلاء وعمت فيه الفوضى، فالتمسوا العذر لأنفسهم أن جاءوا في زمن ليس بزمانهم على نحو ما نجد في قول ابن محمد بن مالك القر[13].

وإنما العذر لي أن جئت في زمن لا الجيل جيلي ولا الأزمان أزماني

وغربة الشاعر واضحة من خلال هذه الأبيات، وفي أخرى نجد أبي عامر بن نيف يقول[14]:

12 - أشرف علي دعدور: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، ص 119 - 120.
13 - المرجع نفسه: ص 121.
14 - المرجع نفسه: ص 122.

حسبي من الدهر أن الدهر يفتح لي بكر الخطوب وإني عائر الأمل
دعني أصادي زماني في تقلبــه فهل سمعت بظل غير منتقل

فمصائب زمانهم كانت قاسية مما أثر في نفسية الشعراء فبرزت لمحة الأسى والإحساس باليأس من إمكانية تغير الأحوال وفقدان الأمل في إصلاح الزمان.

ج - سقوط المدن الأندلسية:

إن من بين عوامل ذيوع الحنين بين الشعراء كموضوع مرتبط بتجربة الشاعر والغربة ومعاناة الفقد نجد عامل سقوط المدن والذي كان نتيجة الأحداث السياسية والتاريخية التي عرفتها البلاد فلما انتشر الضعف في الأندلس وتوالت الأزمات الداخلية أضحى الطريق مفتوحا أمام النصارى جلاء الأشلاء الممزقة، وسرعان ما أخذت المدن الأندلسية تتساقط تباعا على يد النصارى والأسبان، فسقطت طليطلة وبلسينة وقرطبة، وغيرها ولم يبق للمسلمين سوى غرناطة وبعض أعمالها.

إن ما آلت ّإليه مدن الأندلس من دمار أثار في نفوس شعرائها حرقة دامت في قلوبهم كلما مروا بالأطلال ذكروا فيها مرابع صباهم وأيامهم بين أشجارها وأنهارها وكان لكل شاعر طريقته في التعبير عن حنين وقد كانت هذه النكبات قد أدت إلى استحداث فن نظم الشاعر الأندلسي فيه وهو فن رثاء المدن والمماليك فكان لكل مدينة أو مملكة شاعرها الذي يندبها ويتحسر على خرابها ويبكي على أطلالها، فجاءت قرائحهم بشعر يفيض حنينا إلى الوطن المسلوب فكثر النظم في هذا الموضوع عند الشعراء في الأندلس وقد انقسمت مراثيهم إلى ضربين: رثاء الأندلس عامة، ورثاء المدن الأندلسية كلا على حدى(15).

ففي رثاء الأندلس يقول إبراهيم بن فرقد باكيا(16):

ألا مسعد منجز ذو فطــن يبكي بدمع معين ليــن
جزيرة الأندلس حســـرة ألا غالب من حقود الزمـن
وكانت رباطا للأهل النفــي فعادت مناطا لأهل الوثـن
وكانت شجى في حلوق العدى فأضحى مالها محتجيـن

رثاء الشاعر في هذه القصيدة يصدر عن شعور وطني عميق، فهو يبكيها بدموع

15 - فوزي سعد عيسى، في الأدب الأندلسي، دار المعرفة، جامعة الإسكندرية، 1999، ص 34.
16 - المرجع نفسه، ص 34.

حارة، ويبدو في صورة العاشق الذي فقد حبيبته إلى غير رجعة فظل طوال عمره يندبها ويبكيها، وذلك كونه شهد أمامه دمار وطنه فهو يصف مدينته وصفا صادقا ممزوجا بالحسرة والألم على ضياعها.

ومن الذين رثوا الأندلس نجد أبو الحسن أبو الحاج في مخمسة يرثي فيها ابن صمادح ويندب الأندلس زمن الفتنة في أبيات تظهر مدى حبه لوطنه وألمه على ما يصيبه من أهوال الدهر وشماتة الأعداء فيقول[17]:

من لي بمجبول على ظلـم   صحف في أحكامه جاء الحـور
مر بنا يسحب أذيال الحفر   ما أحسد الطبي له إذا نفــر
وأسبه الغصن به إذا خطــر
كافورة قد طرزت بمسـك   جوهرة لم تمتهــن بسلـك
نبذت فيها ورعى ونسكـي   بعد لجاجي في التقي ومحكمـي
فاليوم قد صح رجوعي واشتهر

وقد ذكر الأندلس وحب أرضها في شعر الأندلسيين، كما تنوع ذكر مدنها فمنهم من عشق إشبيلية ومنهم من تعلق بمالقة فكانت كل مدينة تحمل مكانة خاصة في نفس شاعرها الذي يصفها بأجود الأوصاف ويحن إليها كما لم يخن لشيء قبلها فها هو المقري صاحب نفح الطيب يحتفظ لنا بقصيدة لم يذكر اسم صاحبها والتي يندب فيها طليطلة[18]:

لثكلك كيف تبتسم الثغـور   سرورا بعدما يئست ثغـور؟
أما وأبي مصاب هد منـه   تثير الدين فاتصل الثبـور
طليطلة أباح الكفر منهـا   دماها، إن ذا نبأ كبيـــر

ويقول ابن الآبار البلنسي (595 هـ - 658 هـ) (1198 م – 1260 م) الذي تأثر بهلاك بلدته بلنسية التي شهد مأساتها وسقوطها[19]:

ملكت جوارحه عليه جراحــه   فشفاؤه لا يرتجي وسراجــه
عار لا بكار الخطوب وعونها   غيضت موارده وهيض جناحه

---

17 - المقري: نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ص 104.
18 - عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة، بيروت 1987 م، ص 221.
19 - ابن الآبار: الديوان، تحقيق عبد السلام هراس، الدار التونسية للنشر، ط2، 1986 م، ص 86.

حسر العمامة حسرة لعمومها بلوى أشاد بشكوها إفصاحها

ويقول أبو المطرف في إحدى قصائده يبكي فيها بلنسية[20]:

ما بال دمعك لا يبني مدراره أم ما لقلبك لا يقر قراره
اللوعة بين الضلوع لظاعن سارت ركائبه وشطت داره
في كل قلب منه وجد عنده أسف طويل ليس تخبو ناره

فنجد من خلال أبيات أبي المطرف عاطفة الوطنية والأسى على "بلنسية" وهي عاطفة نبيلة صادقة، فالشاعر يصور ما أصاب الناس من ضياع بلنسية إذا استعرت قلوبهم بنار الحزن.

فما أكثر الشعراء الذين نما في قلوبهم حب الوطن والانتماء إليه حتى بعد أن صارت بيوته أطلالا وسكانه أمواتا في القبور فقد كان النظم في الحنين إلى الوطن غزيرا عند الأندلسيين نتيجة سقوط المدن الأندلسية على يد المستعمر الإسباني، فكان شعور هؤلاء نابعا من الأعماق فنجد كل شاعر قد فجع بسقوط مدينته على مرأى منه، وفي إثر سقوط بربشتر سنة (456 هـ) على يد الإردمانيين النورمانيين نظم الفقيه الزاهد ابن العمال قصيدة يصور فيها ما حل ب بربشتر عقب سقوطها مما أثار مشاعره فذكر ضروب الفواجع التي منيت بها الأندلس والنكبات التي نزلت به يقول ابن العمال[21]:

وقد رمانا المشركون بأسهم لم تخط لكن شأنها الإصماء
هتكوا بخيلهم قصور حريمها لم يبق لا جبل ولا بطحاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها في كل يوم غارة شعواء
كم موضع غنموه لم يرحم به طفل ولا شيخ ولا عذراء
ولكم رضيع فرقوه من أمه فله إليها ضجة وبكاء
ولرب مولود أبوه مجدل فوق التراب وفرشه البيداء

وغيره من الشعراء كثير، فقد كان الشعراء شهود عيان لوقائع سقوط المدن الأندلسية السبب الذي أدى إلى النظم في الحنين إلى الوطن وبكاء الأطلال.

20 - فوزي سعد عيسى: في الأدب الأندلسي، دار المعرفة، القاهرة، 1999م، ص 48.
21 - إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1971 م، ص 177.

د - عامل الأسر في السجون:

لقد كان من أجد الشعر من ناحية العواطف في الأدب الأندلسي شعر أولئك الذين عرفوا معنى فقد الحرية والبعد عن كل ما هو عزيز كالأب والأم والأولاد والزوجة والأهل، والوطن فكثير من الشعراء من أسروا في سجون بعيدة عن ديارهم وأهليهم، فكانت مرارة الغربة تكاد تقتلهم فكم كانت حاجتهم للأنس شديدة وشعورهم بالفقد عارم إذ نجد أبا الأصبع عيسى بن الحسن يقول في طول سجنه[22]:

ليت شعري كيف البلاد وكيف الـ   إنس والوحش والسما والماء
طال عهدي عن كل ذاك، وليـلي   ونهاري في مقتلي سـواء
ليس حظى مـن البسيطـــة إلا   قدر قبر صبيحة أو مسـاء
وإذا ما جنحت فيــه لأنـــس   أوحشتني بأنسها الأغبيـاء

كما قدروا شعر عزيز لمن أسروا في السجون خاصة من كانوا يعرفون الرفاهية والرخاء كالمعتمد بن عباد وابن زيدون وابن شهيد وغيرهم من الذين صدموا بواقع الأسر بعيدا عن ديارهم ومنازلهم وأهلهم.

وخاصة الشاعر المحب ابن زيدون الذي هام بولادة بنت المستكفي حبا فكان حنينه إلى وطنه مرتبطا بحنينه إليها فقد ذكرها وهو في السجن وعاش مرارة فراقها وهو في السجن، وقد فر من سجنه ملتجئا إلى بني عباد في إشبيلية (سنة 1049 م) وكتب إلى ولادة[23]:

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقـا   والأفق طلق ومرأى الأرض قد راق
وللنسيم اعتلال في أصائلـه   كأنه رق لي فاعتـل إشفاقـــا
كأن أعينه إذ عاينت أرقـي   بكت لما بي فجال الدمع رقراقـا

فالشاعر نظم هذه الأبيات عقب فراره من السجن وفيها يبرز مدى شوقه وحنينه إلى ولادة، فيتخيل أن الرياض والنسائم العليلة والمياه المترقرقة تشاطره اللوعة على فراق من

---

22 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، 2009 م، ص 212.
23 - ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، اختيار وتقديم الدكتور محمد رضوان الداية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1978 م، ص 140.

يحب لاسيما عندما توقف عند مدينة الزهراء، فقد أثر السجن على نفسية الشاعر مما زاد أشواقه إلى ولادة كما أن الأسر في السجون كان عاملا أساسيا في تعميق شعور الحنين لدى الشعراء إذ أن الأسير يعيش غربة تجعل من الحياة سبه مستحيلة لأن الحرية من شروط الحياة عند الإنسان خاصة عند بعض الشعراء الذين ألقوا المكانة المرموقة والكلمة المسموعة والإكبار ممن حولهم. يقول ابن زيدون في هذه الأبيات لما طالعه العيد[24]:

خليلي، لا فطر يسير ولا أضحى فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى؟
ويهتاج "قصر الفارسي" صبابة لقلبي لا تألو زناد الأسى قدحا
وليس ذميما عهد "مجلس ناصح" فأقبل في فرط الولوع به نصحا
وأيام وصل "بالعقيق" أو اقتضيته فإلا يكن ميعاده العيد فالفصحا

فالشاعر في هذه الأبيات يحن إلى أيام اللهو التي كان يعيشها قبل سجنه فقد عانى مرارة الاغتراب في سجنه، وقد كتب هذه الأبيات حين طالعه عيد الفطر وعيد الأضحى وهو ضيافة الأمير بعد فراره من السجن فهو يشكو الملل رغم أنهم في يوم عيد إلا أنه لم يكن مسرورا بالعيد لأن الشوق علبه خاصة بعد أن عرف الأسر في السجن.

إن معاناة الأسر عند الشعراء أدت بهم إلى النظم في موضوع الحنين، وذلك بوصفهم لحياة الملل والسأم والوحدة القاتلة دون أنيس ولا صاحب فجاءت أشعار الأسري في قمة الصدق العاطفة لأن الفقد والحرمان كان قد اشتد على الشاعر في سجنه.

وإن كان عامل الارتحال وسقوط المدن والسجن قد انعكس على مواضيع الشعر في الأندلس فظهر بذلك الحنين فإنه هنالك عدة عوامل أخرى فرعية أثر على مشاعر الشعراء وكمظهر عن ذلك نجد أن الشعراء قد طرقوا مواضيع في الحنين بأنواعه: كالحنين إلى أيام الصبا وسبب ذلك يعود إلى تقدم الشاعر في العمر وبلوغه من العمر عتيا دون وجود من يأنس وحدته ويشاركه أيامه التي باتت كئيبة تحت وطأة المشيب والعجز.

فهذا أدى بالشاعر إلى النظم في الحنين إلى الشباب الذي أبدل شيخوخة وما أكثر الشعراء الذين حنوا إلى أيام الشباب والصبا كقول ابن خفاجة في حنينه إلى الشباب[25]:

فآه طويلا ثم آه لكبـرة بكيت على فقد الشباب بها دما

---

24 - المرجع نفسه: ص 144.
25 - ابن خفاجة: الديوان، دار صادر، بيروت 1988، ص 234.

فابن خفاجة شاعر مرهف الحس سريع الانفعال فهو يذكر أيام الشباب التي فقدها وفقد معها ما يكون في الشباب من لهو وأصحاب وأصدقاء وهو اليوم يبكي أيامه الخالية التي لم يبق منها إلا الذكرى فلما رأى شيبة برأسه بكى، وتحركت أشجانه لذلك.

وفي قصيدة لابن الأبار نجده أيضا يحن إلى أيام الشباب، متحسرا عن سعادة أيامه الذاهبة، متذكرا صباه، تلك الأيام التي كان يشبب فيها بالحسان بين الرياض، وحيث النسيم العليل، يقول[26]:

هل ترجع الأيام عصر شبيبة مازالت فيها بالحسان أشيب
حيث النسيم بما يمر عليه من حق الرياض مضمخ ومطيب
أيام يرسل من شبابي أدهم أرن وبشكل من مشيبي أشهب

2 - الحنين إلى الديار والوطن الأندلسي:

إن البداية الحقيقية لغرض الحنين في الشعر كانت في بداية عصر الدولة الأموية في الأندلس نتيجة الابتعاد والاغتراب عن الوطن، ثم تطور وازدهر في العصور اللاحقة ولاسيما لدى الأندلسيين، فإذا كان للمشارقة فضل السبق في الحنين فإن الأندلسيين توسعوا فيه أكثر منهم، من حيث الوفرة وقوة العاطفة، ولعل السبب في ذلك مرده إلى الأحداث السياسية في الأندلس وسقوط معظم المدن الأندلسية على يد الملوك الأسبان.

لذا فقد قدر على الأندلسيين أن يعيشوا الاغتراب، الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة من ديارهم وفراق أهليهم، فذاقوا مرارة الضياع والتشتت فمنهم من نزل بالمغرب ومنهم من رحل إلى المشرق، فكانت تجربة الغربة عميقة في نفوسهم. فظهر ذلك شعر يصور أحوال الأندلسيين في مواطنهم الجديدة التي هاجروا إليها، وقد عبر أحد الكتاب الأندلسيين الذين هاجروا إلى إفريقيا، بعد ضياع معظم المدن الأندلسية، عن حياة البؤس والشقاء التي آل إليها أغلبية المهاجرين الأندلسيين وقال[27]: "إن قوما من الأندلسيين الذين هاجروا من الأندلس وتركوا الدور والأرض والجنات والكرمات، ندموا على الهجرة بعد وصولهم إلى دار السلام، وتسخطوا وزعموا أنهم وجدوا الحالة عليهم ضيقة".

فالوطن الأندلسي كان يحظى بمكانة مقدسة لدى أهله وسكانهن وكان الأندلسيون

26 - ابن الآبار: الديوان، ص 59.
27 - فوزي سعد عيسى: في الأدب الأندلسي، ص26.

حريصين على البقاء في موطنهم إلا أن الظروف أخرجتهم منه خاصة بعدما سقطت معظم مدن الأندلس، إذ ميزت حياتهم اليومية معاناة الشقاء والبحث المستمر عن القوت والأمن والاستقرار فها هو ابن شهيد يرثي قرطبة ويشكو حنينه إلى مجدها، في قصيدة تفيض حنينا يقول[28].

فلمثل قرطبة يقل البكاء مــن يبكي بعين دمعها متفجــر
دار أقال الله عثرة أهلهــا فتبربروا وتغربوا وتمصـروا
في كل ناحية فريق منهــم منفطر لفراقها متجبـــر
عهدي بها والشمل فيها جامـع من أهلها والعيش فيها أخضــر
يا جنة عصفت بها وبأهلهــا ريح النوى فتمرت وتدمــروا
أسى عليك من الممات وحق لي إذ لم نزل بك في حياتك نفخـر

فالشاعر في هذه الأبيات يبكي قرطبة ويصف حالها بعد الخراب، فقد تشتت الأسر وانتشر الفقر وهذا الأمر أثر في نفسية الشاعر لأنه يحب وطنه ولا يقبل له الهوان خاصة وأن قرطبة كانت قبل سقوطها في أوج الازدهار والمجد.

ويقول ابن حزم حين وقف على منازل أهله ورآها وقد طمست أعلامها وخفيت معاهدها، وغيرها البلى فصارت صحارى[29].

سلام على دار رحلنا وغـودرت خلاء من الأهلين موحشة فقـرا
تراها كأن لم تغن بالأمس بلقعــا ولا عمرت من أهلها قبلنا دهـرا
ولكن أقدارا من الله أنفذت تدمرنـا طوعا لما حـل أو قهــرا
فيا خير دار قد تركت حميـــة سقتك الغوادي ما أجل وما أسرى
سأندب ذاك العهد ما قامت الخضرا على الناس سقفا واستقلت بنا الغبرا

إن ابن حزم من خلال هذه الأبيات مفجوع لما أصاب وطنه، يصور لنا من خلال شعره ما عرفته الديار من خراب ولأن سكانها هاجروا منها. فبدت موحشة لخلائها من سكانها ودمار معالمها.

---

28 - إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1971 م، ص 138.
29 - المرجع نفسه: ص 139.

فبتوالي النكبات على بلاء الأندلس اضطر أهلها إلى الترحال والتغرب مبتعدين عن ديارهم التي عم فيها الخراب وفساد النظام واشتداد الفقر، لطن لم يسلم المهاجرين من أسى وحزن آخرين لقومها في ديار الغربة فالمغترب بعيدا عن أهله دون شك سيعاشر أناسا لا يعرف طبائعهم وقد لا يقبلون تواجده بينهم، لهذا فإن الشاعر الأندلسي أبو بكر محمد بن القاسم الذي رحل إلى المشرق لما نبت به قرطبة عند تقلب دولها، فجال في العراق وأقام بحلب ثم غلبه الشوق فحن إلى وطنه وأهله، وقد صور لنا المهانة التي يلقاها الغريب، داعيا قومه للاتعاظ بما قاسى إذ يول في هذه الأبيات التي فيها من الحكمة كثير[30]:

أين أقضي الغرب من أرض حلب أمل في الغرب موصول التعب

حن من شـوق إلى أوطانـــه من جفاه صبره لما اغتــرب

جال في الأرض لجاجا حائـرا بين شوق وعناء ونصـــب

كل من يلقاه لا يعرفه مستغيثـا بيـن عـجـم وعــرب

يا أحبائي اسمعوا بعض الـذي يتلقـاه الـطريد الـمغتـرب

وليكن زجرا لكم عن غربــة يرجع الرأس لـديها كـالـذنب

وقد ميز أشعار الأندلسيين المغتربين عاطفة الحزن والأسى العميق، فيظهر لنا الشوق في ثنايا القصائد ويصاحبه حنين جارف إلى تلك الديار، مختلطا بالبكاء وبالأمل في العودة إليها، ولكن اليأس أغلب ولأبي مطرف بن عميرة قصيدة يرثي فيها بلنسية بعد سقوطها ويذكر أيضا جزيرة شقر وهي موطنه. فيصف حنينه إلى شقر في أبيات تشق عن أسى عميق وشوق قاتل يقول[31]:

يحن وما يجدي عليه حنينـه إلى أربع معروفها متنكـــر

ويندب عهدا بالمشقر فاللـوى وأين اللوى منه وأين المشقــر

فالشاعر يبدي مشاعره الصادقة التي تمثلت في الحنين إلى الوطن.

وما أشقى النازح الغريب وصدره موقد، تضرمه نار الشوق والحنين، وتمتلئ حياة

---

30 - د. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، ط3، 1987، ص 210.

31 - د. محمد رضوان الداية: الأدب الأندلسي والمغربي، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق 1981 م، ص 305.

الأديب بعاطفة المغتربين التي لا تتوقف عن الحلم بالعودة إلى وطنها الأم، خاصة أولئك الذين اضطهدهم الزمان خارج الوطن وأقصاهم سياط الألم وقسوة الحياة، ودفعت بهم لمة اليأس والبؤس إلى أرض لا يحسون فيها الاستقرار ولا يعرفون بها أمانا حتى وإن كانت سخية العطاء، فشتان بين أرض الأهل والأصحاب وبلاد الأغراب.

وابن سعيد المغربي واحد من أولئك الذين اشتعلت نار الحنين في قلوبهم أملا في العودة يوما ما إلى بلادهم يقول(32):

وتشفت أعين العشاق من حور عين بالموظي تحجب

ملعب للهو مذ فارقته ما ثناني نحو لهو ملعب

وإلى مالقته يهفو هوى قلب صب بالنوى لا يقلب

هنا يتذكر ابن سعيد أيامه الجميلة في أحضان الأندلس، البلد الذي وهبه كل شيء جميل، وهذا إنما يدل على تعلق الشاعر بوطنه فيبدو الشاعر في هذه الأبيات متشوقا إلى مباهج حياته الخوالي في موطنه. ويقول أيضا متشوقا إلى الأندلس وهو بمصر(33):

هذه مصر فأين المغرب؟ مذ نأى عني دموعي تسكب

فارقته النفس جهلا إنما يعرف الشيء إذا ما يذهب

فهو يبرز من خلال هذه الأبيات حنينه ومدى مكانة وطنه في قلبه الذي أحب الأندلس بشدة، فبكت عيناه لفراقها والتغرب في بلاد سواها.

فقد هاجر ابن سعيد من وطنه بصحبة والده وأقام بمصر وغيرها من بلاد المشرق، ثم عاد إلى بلده فاستقر بها وأعطانا صورة دقيقة للغريب حينما يغترب لأول مرة(34):

ويح الغريب توحشت ألحاظه في عالم ليسوا له بسبيه

إن عاد لي وطني اعترفت بحقه إن التغرب ضاع عمري فيه

ففي هذه الأبيات نجد الشاعر يعتبر عمره في التغرب ضائع وهذا لأنه نأى عن موطنه وعاشر قوما غير قومه.

32 - فون شاك: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، دار الفكر العربي، القاهرة 1999 م، ج 1، ص 136.

33 - فوزي سعد عيسى: الأدب الأندلسي، ص 50.

34 - د. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، ط3، القاهرة، ص 210.

فابن سعيد حينما هاجر إلى مصر لقي سوء الترحيب من قبل أهل مصر فقد اعتبروه مغربيا غريبا، حتى انه تمنى لو لم يكن كذلك لشدة وقع ذلك في نفسيته، ويصور ابن عتبة الإشبيلي تجربته المريرة في الغربة حين رحل عن أشبيلية إلى مصر خلال فتنة ابن هود في الأندلس، لكنه لم يلق في دار الغربة معاملة حسنة فانتابه الإحساس بالضيق يقول(35):

أصبحت في مصر مستضاما   أرقص في دولة القرود
أود من لؤمهم رجوعا   للغرب في دولة ابن هود

إن سوء معاملة أهل مصر للغريب أثار في نفسية الشاعر الكثير من السام، فهو يود – من كثرة لؤمهم - العودة إلى الوطن ولو في حكم ابن هود. فأبو بكر محمد بن القاسم عانى أيضا من ويلات الهجران والاغتراب وسوء الاستقبال والترحاب فيقول بهذا الصدد(36):

دمشق جنة الدنيا حقيقا   ولكن ليس تصلح للغريب
بها قوم لهم عدد ومجد   وصحبتهم تؤول إلى الحروب
ترى أنها رهم ذات ابتسام   وأوجههم تولع بالقطوب
أقمت بدارهم سنين يوما   فلم أظفر بفتى أديب

فدمشق مدينة فاتنة خلابة تثير الناظر ببهائها، لكن أهلها في نظر الشاعر أناس وإن كانوا ذوي مجد، فصحبتهم لا تطاق، وإن كانت الطبيعة رغم صمتها تبتسم فهم –أهل دمشق- أناس تولع وجوههم بالقطوب والعبوس.

فالحنين إلى الوطن العربي كان بصمة في الشعر الأندلسي أوجدتها الظروف السياسية وغيرها، لذا نجد تجارب الشعراء المغتربين الأندلسيين قد أضافت عاطفة أخرى في الشعر الذاتي المرتبط بحياة كل شاعر من الشعراء وهي عاطفة حب والوطن والحنين إليه وتوقان النفس المرتحلة عنه إليه. فالشاعر الأندلسي ارتبط ارتباطا شديدا، "فالأندلس قبلة شاعرها كيف اتجه وانى اغترب، لا ينقطع عن ذكرها، ولا يرى بلدا في الدنيا يضاهيها، فجمالها فوق كل جمال وعمرانها دون كل عمران"(37).

35 - فوزي سعد عيسى: في الأدب الأندلسي، ص 29.
36 - أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب، ج3، ص 406.
37 - بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نظير عبود، بيروت 1979،

ويذكر أن المعتمد بن عباد أمضى أياما من فتوته عاملا على شلب أيام أبيه، فلما تولى الملك بعد أبيه اختص بها أحب شعرائه إليه إذ ذاك، أبا بكر محمد بن عمان، فوجهه إليها متفقدا إلى أعمالها فلما ودعه أهاجه الشوق وغلبته الذكرى ودعا شاعره أن ينقل إلى مرابعها تحيته(38):

ألا حي أوطاني بشلب أبا بكـر وسهلن: هل عهد الوصال كما أدري؟

وسلم على قصر الشراجب عن فتى له أبدا شوق إلى ذلك القصـــر

وحكى ابن بشكوال عن الشيخ أبي بن سعادة انه دخل مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ أبي بكر المخزومي قال: فسألنا من أين؟ فقلنا: من قرطبة فقال: قربا متى عهدكما بها؟ فقلنا الآن وصلنا منها فقال: قربا إليا أشم نسيم قرطبة، فقربنا منه، فشم رأسي وقبله وقال لي اكتب(39):

أقرطبة الغراء هل لي أوبـة إليك وهل يدنو لنا ذلك العهـد؟

لياليك أسحار وأرضك روضة وتربك في استنشاقها عنبــر

وكان هذا التصرف إلا تعبيرا عن مدى شوقه لقرطبة، وحنينه إلى أراضيها وما يزيدنا دلالة على حبه لوطنه وتعلقه به هو وصفه للياليها بالأسحار ولأرضها بالروضة ولاستنشاق تربها برائحة العنبر الزكي.

ومن الشعراء الذين ارتحلوا عن الأندلس ابن جبير المعروف بـ "صاحب الرحلة"، إذ تجول في الشام والعراق والجزيرة، ولما وصل بغداد تذكر بلده فقال(40):

سقى الله باب الطاق صوب غمامه ورد إلى الأوطان كل غريـب

فالشاعر في هذا البيت يرجو من الله أن يرد كل غريب إلى وطنه بين أهله وذويه، فالشاعر يعرف جيدا معاناة المغترب ومشاعر الحنين إلى تراب الوطن ولوعة الفراق في النفس المهاجرة في منأى عن مكان السكينة الذي هاجرت مئة أو هجرت مجبرة عنه.

ومن الشعراء الذين أجادوا في وصف شوقهم إلى الأوطان وحنينهم إلى العودة إليها

ص 79.

46 - د. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية، ص 207.

39 - المرجع نفسه، ص 108.

40 - أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من عصر الأندلس الرطيب، ج3، ص 386.

أبو إسحاق إبراهيم بن سهل يقول(41):

يا نسيما من نحو تلك النواحي كيف بالله نور تلك البطـاح؟
أسقتنا الغمام ربا فلاحــت في رداء ومئزر ووشـاح؟
أم جفته فصيرته هشيمـــا تركته تذروه هوج الريـاح
آه مما لقيت بعدك مــن هــ م وشوق وغربة وانتـزاح

قال هذه الأبيات بمالقة وهو متشوق إلى جزيرة الخضراء، فهو يصور لنا غربته وحزنه وشوقه لوطنه، بالسؤال عن موطنه مخاطبا النسيم. وما أكثر الحنين إلى الوطن عند الأندلسيين كما هو الحال عند ابن خفاجة الذي عشق الطبيعة الخلابة التي تتميز بها الأندلس فيقول(42):

أجبت وقد نادى الغرام فأسمعـا عشية غنائي الحمـام، فرجعـــا
فقلت: ولي دمع ترقرق فانهمـى يسيل، أو صبر قد وهى فتضعضعا
ألا هل إلى أرض الجزيرة أوبـة فأسكن أنفاسا وأهــدأ مضجعـا

وقد تميز شعر الحنين عند ابن خفاجة بالرقة واللطافة وبالبساطة في المعاني وروعة نزعتها الإنسانية، فيبدو من خلال هذه الأبيات رجلا مرهفا، متعلقا بوطنه، يعتبر أرض الجزيرة سكن لنفسه والرجوع إليها يجعله يهدّأ مضجعا. ونجد الشاعر أبو المعاني الإشبيلي من بلنسية يقول(43):

أنا في الغربة أبكـي ما بكت عين غريـب
لم أكن يوم خروجي من بلادي بمصيـب

فهو يرى أنه في غربة وبكاؤه لا يقارن ببكاء أي غريب، وهو يعترف بأنه أخطأ بخروجه من بلاده. وفي أبيات أخرى من شعر الحنين للشاعر أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي، وقد نظمها الشاعر لما رقت حاله بقرطبة وفيها وصف المنتزهات القرطبية، ورد على من زينوا له الرحلة من أصحابه(44):

41 - المرجع نفسه: ج2، ص 307.
42 - ابن خفاجة: الديوان، دار الصادر، بيروت (د. ت)، ص 426.
43 - المقري: نفح الطيب، ج 5، ص 285.
44 - المرجع نفسه، ج 2، ص 81.

يا هبة باكرت من نحو داريــن وافت إلي على بعد تحينــي

سرت على صفحات النهر ناشرة جناحها بين خيري ونسرين

ردت إلى جسدي روح الحياة وما خلت النسيم إذا ماتت تحينى

في هذه الأبيات يرد أبو القاسم على أصحابه الذين زينوا له الرحلة، إلى ملك الموحدين بمراكش، فيها وصف المنتزهات القرطبية، وكذلك رده على أصحابه، بأنه حين تغمره نشوة الحنين إليهم حين يهب عليه نسيم عليل يحييه، وهو يسير بجانب النهر فيهيج أشجانه ويذكره ببلده. وفي تشوقه إلى الأندلس يقول ابن خفاجة، وهو بالعدوة[45]:

إن الجنة، بالأندلــس، مجتلي الحسن، وريــا نفس

فسنا صحبتها من شـنب، ودجى ليلتها من لعـــس

فإذا ما هبت الريح الصبا؟ صحت: وأشواقي إلى الأندلس

فالشاعر هنا يثني على بلده الأندلس، ذاكر أجمل ما تزخر به، فهو مولع وقد كان الحنين إلى المشرف يمثل جانبا من أماني شعراء الأندلس وأحلا مهم منذ استيطانهم في تلك البلاد، فهذا عبد الرحمن الداخل لا تكاد العزة و الرفاهية اللتان يحيا هما في الأندلس تثنيا نه عن الحنين إلى المشرق فيجلس في مجلسه، و يلمح من بعيد نخلة شامخة فلا تلبث أن تهيج أشجانه وقد كره بأرض آبائه و أجداده فيقول[46]:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلــة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت: شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بني وعن أهلــي

نشأت في أرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاد والمنتأى مثلــي

ويقول أيضا[47]:

أيها الراكب الميمم أرضــي أقر من بعضي السلام لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرض وفؤادي ومالكيه بـــأرض

قدر الله بيننا بافتـــراق فعسى الله باجتماع سيقضــي

فالشاعر يصف حنينه ويشكو فراق أرضه وأهله، فهو يشعر بالغربة فجسمه بأرض

45 - عبد الرحمن جبير: ابن خفاجة الأندلسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1981، ص 147.
46 - المقري: نفح الطيب، ج2، ص 213.
47 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 103.

لكن فؤاده بالأرض التي بها أحبابه، فهي الأرض التي لا يحس فيها بالوحشة، وقد بعث بهذه الأبيات لأخته بالشام يشكو لها حنينه.

فظاهرة الحنين في الشعر العربي إذا هي حالة شعورية عاشها الشاعر نتيجة الاغتراب، فصور ما لقيه بعض الشعراء في ديار الغربة من عدم الترحيب والتقدير وبالتالي الندم على المجازفة بالارتحال.

وليست معاناة المغترب مع سوء المعاملة ما جعل الشاعر يجن إلى وطنه، فارتباطهم بالديار نابع من مشاعر حب الوطن والتضحية في سبيله، فكان الشاعر يفضل البقاء الرندي يبكي فراق الوطن والحبيب والأهل فيقول في هذه الأبيات مشتاقا[48]:

غريب كلنا يلقى غريبا فلا وطن لديه ولا حبيب
تذكر أهله فبكى اشتياقا وليس أن بكى غريب

ويقول أبو الوليد الشقندي[49]:

استوقفت الركب قد لاحت لك الدار واسأل بربع تناءت عنه أقمار
لا خفف الله عني بعد بينهم فإنني سرت والأحباب ما ساروا
ألا رعى الله ظبيا في قبابها منه لهم في ظلام الليل أنوار
إذا أنيسا بهم لا شيء يذعره لكنه عن جنابي الدهر نفار

فهذه الأبيات تصف ألم الشاعر وحزنه لفراق دياره وأهله وأحبابه، ومن الشعراء الذين طرقوا موضوع الحنين إلى الوطن الشاعر الأندلسي جعفر أبي على القالي وجاء في "المغرب في حلى المغرب" أنه "أثار في خاطره أن يرتحل إلى موطن أصله، ويجتمع هنالك مفترق شمله ويحل بين من له به من الأقارب، ولا يثني العنان بعد إلى المغارب، فلما حل بين من له به من الأقارب، ولا يثني العنان بعد إلى المغارب، فلما حل ببغداد أكذبت عينه ظنه، وأجدب وأخفق المراد فرجع لا يلوى على معتذر..."، قال[50]:

حننت إلى بغداد حيث تمكنت أصولي فلما أن حللت ببغداد

48 - أبو عبد الله الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص 350.
49 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 219.
50 - المرجع نفسه، ص 209.

رأيت ديارا يبعث الهم لحظـــها وقوما يسومون الغريب بأحدقـــاد

فوليت عنهم عائدا غير عاطـف وإن كان فيما بينهم نشء أجــدادي

وجزت على مصر فغمضت مقلتي وقلت بعنف: مغرب الشمس يا حادي

"وكان أشد ما لقيه ببغداد، أنه حرد يوما بحضرة جماع منهم، وأفرط في سوء الخلق، فقال له أحدهم: يا هذا بئس ما عوضتنا عما نقله أبوك من بلدنا المغرب: حمل عنا علما وأدبا، وجئتنا بجهل وسوء أدب، فقال: المشي يلزمني إلى مكة حافيا راجلا إن قعدت لكم في بلد من يومي هذا"[51].

فحنين هذا الشاعر كان لموطنه الأصلي موطن أجداده، الذي عاد إليه متشوقا فجاء منه غير عاطف ويصفهم بأنهم قوم يسومون الغريب بأحقاد. ويقول ابن الصباغ في مطلع إحدى موشحاته[52]:

تأتي بالأوطـان عن حصرة الإحسان ولا معيـن

فمن لذي إحسان لطيبة قد كـــان له حنيـن

فنلمس من هذه الأبيات إحساس الشاعر بالغربة النفسية فهو يشعر بأنه غريب في دار الهجرة، ويحس بأن الأوطان تنأى به عن موطنه الروحي وأن الديار قد شطت به ولذلك فهو كثير الشوق إلى وطنه.

ومن الشعراء الذين عاشوا في الغربة بعيدا عن الوطن الشاعر ابن دراج القسطلي: (ت 421 هـ - 1030 م) الذي عاش فترة من الرخاء في ظل المنصور العامري، ثم وقعت الفتنة لتطبع على نفسه الكثير من الشؤم والتعاسة، فراح يسعى لتوفير أسباب العيش لهم مما اضطره إلى أن يجول بين ملوك الطوائف ورؤسائهم بحثا عن الرزق، فغربته لم تنته برحيله من مكان لآخر، يشكو تشرده وضياع وطنه وهذا يبرز من خلال شعره، يقول[53]:

تغرب في البلاد فأفردتـــه فقيد العز محجود الزمـــام

تجافي الأرض عنه وهو معى وتجوفه المناهل وهو ظالمـي

فهل حول يحول بلا رحيـل ولو شيئا نراه في المنـــام

51 - المقري: نفح الطيب، الجزء الخامس، ص 209.
52 - يوسف عيد: التوشيح في الموشحات الأندلسية، دار النصر، لبنان، ط1، 1993، ص 95.
53 - ابن دراج: الديوان، تحقيق د. محمود علي مكي، دمشق 1961، ص 203.

فقد أنكرته الأرض وضاقت عليه ليصبح التغرب صديقا له، وعاب الاستقرار عنه لا يكاد يراه في المنام.

وكثيرا ما كان ابن دراج يتذكر أيام الماضي وما فعلت به، بسبب تلك البلاد التي لم يلق فيها إلا راعدة المنايا، ليجد التغرب والرحيل أهون عليه من معاناة الدمار على أرض الوطن. فإحساس الغربة كان خيالا لا يفارق ابن دراج أبدا، فكثير ما كان يأخذه الحنين إلى قرطبة[54]:

واجنح لقرطبة فعانق تربتهـــا   عني بمثل جوانحي وثرائــي

وانشر على تلك الأباطح والربـى   زهرا يخبر عنك أنك كابتــي

فمعاناة هذا الشاعر كانت الاغتراب، لكن هناك شعراء آخرون عرفوا شعور الحنين إلى الوطن ولم يكونوا قد رحلوا عنه لكنهم أمضوا أياما طويلة في السجون مما أدى إلى الشعور لفقد والغربة، فكانت آلامهم وأحزانهم شديدة في ظل افتقاد الحرية والدار والأهل.

ومن هؤلاء ابن شهيد (ت 426 هـ - 1035 م) الذي كثر ترحاله من مكان لآخر فهو يرحل تارة عن قرطبة إلى مالقه باحثا عن المأوى والثبات، وكان ولوعا بحب قرطبة، وفي هذه الأبيات يقول وهو في السجن[55]:

فراق وسجن واشتياق وذلـة   وجبار حفاظ على عتيـد

فمن مبلغ الفتيان أني بعدهـم   مقيم بدار الظالمين وحيد

مقيم بدار ساكنوها من الأذى   قيام على جمر الحمام قعود

ويسمع للجنان في جنباتهـا   بسيط كترجيع الصبا وتشيد

في هذه الأبيات تبرز لنا مشاعر الشوق فالشاعر بالرغم مما كان يعانيه وهو في السجن لم يكف عن التفكير في أهله والشوق إليهم. ولابن حزم الأندلسي كما جاء في (أعمال الأعلام) لابن الخطيب، أبيات يشير فيها إلى أنه ترك قرطبة مجبرا ولو استطاع لآثر أن تكون له قبرا[56]:

54 - د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي في عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1969، ص 251.

55 - المرجع نفسه، ج1، ص 276.

56 - ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 108.

فيا دار لم يقفزك منا اختيارنا ولو أننا نستطيع كنت لنا قبرا

ويقول ابن حزم أيضا[57]:

ويا دهر بلغ ساكنيها تحيتي ولو سكنوا المروين أو جاوزا النهرا

فابن حزم انقلبت حياته فجأة من ترف ومن عيشة سعيدة إلى حياة البؤس والشقاء، وكان يصور في شعره تلك المصائب المنصبة على البلاد دوما سببته من حالة اغتراب دائم في البلدان بعد فقدان الأحباب. ويقول خلف بن فرج السميسر[58]:

وقفت بالزهراء مستعبـرا معتبرا أندب أشتاتـــا

فقلت: يا زهراء ألا فارجعي قالت: وهل يرجع من مات

فلم أزل أبكي وأبكي بهـا هيهات يغني الدمع هيهات

هذه الأبيات لخلف بن فرج وهو يقف بأطلال الزهراء يناجيها، متألما على ما آلت إليه من حال، بعدما صارت أشتاتا، باكيا من شدة الأسف على مدينة الزهراء التي عهدها بروعتها وجمالها.

ومن الشعراء الذين عشقوا أوطانهم فحنوا إليها في غربتهم الشاعر الأندلسي ابن زيدون المولود بقرطبة (سنة 394 هـ). فالشاعر يأمل بالعودة إلى الزهراء محل ارتياحه، وفي حنينه إلى قرطبة نظم ابن زيدون في مخمساته قصيدة يصف نفسه في السجن فيفاخر معتزا به متذكر ديار صباه ومسقط رأسه قرطبة يقول[59]:

أ قرطبة الغراء هل فيك مطمع؟ وهل كبد حرى لبينـك تنقـــع؟

وهل للياليك الحميدة مرجــع؟ إذا الحسن مرأى فيك والحين مسمع

وإذا كنف الدنيا لديك موطـأ

أليس عجيبا أن تشط النوى بك؟ فأحيا كأن لم أنس نفح جنابـــك

ولم يلتئم شعبي خلال شعابـك ولم يك خلقي بدؤه من ترابـــك

ولم يكتنفني من نواحيك منشـأ

هذه الأبيات التي ضمنها وصفا لحاله مشتاقا إلى قرطبة التي اطلعنا بفضله على ما

57 - المرجع نفسه، ص 108.
58 - د. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص 218.
59 - بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، ص 131.

كانت عليه من بهاء وازدهار، فتبرز مشاعر الحنين جلية من خلال أمانيه بالرجوع إلى قرطبة التي أمضى فيها الليالي الحميدة التي لا تفارق خياله فهو يحن أيامه بقرطبة.

وكان في سجنه يرجو أن يزورها، وقبل أن توافيه المنية ببضعة أشهر قرت عينه بالرجوع إلى قرطبة مظفرا بصحبة حملة عسكرية أرسلها المعتمد بن عباد لإنقاذها من حيش طليطلة، ومات دون السبعين، وذلك (سنة 1070 م).

فكانت إذا قصائد ابن زيدون في الحنين إلى موطنه فيها لوعة من يغترب عن وطنه ومرابع طفولته وأحبته، فالإنسان ألوف ولا شيء يصنيه أكثر من فراق الأرض التي أنبتته والمكان الذي قضى فيه صباه، فمهما كبر سيبقى يحن إليها عند البعد والترحال منها، فقد قضى ابن زيدون نصف عمره في الغربة، ورغم المجد الأدبي والمناصب الرفيعة إلا أنه لم ينس حبه لأرضه قرطبة.

ومن الشعراء الذين طرقوا موضوع الحنين إلى الوطن والأهل المعتمد بن عباد، أشهر ملوك الطوائف بالأندلس (1039 م - 1095 م) انتقل إليه عرش إشبيلية بعد موت والده المعتضد بالله، وبعد حياة الأمير بدأت النكبات تصيبه فمن موت ابنه إلى سقوط عرشه وأسرته، فأصبح فقيرا، فلم تتدفق عاطفته تدفقها في نكبته وسجنه فلما حل بأغمات سجينا، وكان الحصن الزاهر من أحب المواضع إليه، فأخذ يحن غليه ويذكره[60]:

غريب بأرض المغتربين أسير سيبكي عليه منبر وسريـر

مضى زمن الملك مستأنس به وأصبح منه اليوم وهو نفـور

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضة وغديـر

ففاجعة ابن عباد بفقد أولاده الثلاثة وأسرته في حرب المرابطين في أغمات، كان ذا أثر في نفسه، مما دفعته إلى الشعور بالغربة بعدما تبدلت أحواله من أمير إلى أسير ذليل.

ويقول الحصري القيرواني، في أبيات من قصيدته التي كان يندب فيها وطنه بالقيروان[61]:

ألا سقى الله أرض القيروان حيا كأنه عبراتي المستهـلات

فإنها لذة الجنـات تربتهـــا مسكية وحصاها جوهريـات

60 - المرجع نفسه، ص 152.
61 - ابن بسام: من الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 327 - 328.

هل مطبع أن ترد القيروان لنـا وصبره والمعلى فالحنيــات

هذا ولم تشج قلبي للرباب ربى إلا بدت حسراتي المستكنـات

الشاعر في هذه الأبيات يأسف على خراب القيروان ويتحسر عليها، ويرجو أن تعود كما كانت لذة الجنات تربتها، مسكية وحصاها جوهريات فالشاعر مرتبط بموطنه الذي أصبح غريب عنه بعدما آل إليه من خراب.

ويقول أيوب بن سليمان السهلي في حنينه إلى قرطبة[62]:

قرطبة الغراء هل أوبـة إليك من قبل الحمام المصيب

ذكرك قد صيرته ديدنـا وكيف أنساك وفيك الحبيـب

3 - الحنين إلى الأهل والأقارب:

إن الظروف الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى ذيوع ظاهرة الحنين في الشعر الأندلسي، كانت قد أثرت على أحوال الأسر الأندلسية التي عرفت الترحال والتفرق والشتات وقلة القوت.

فكان سعي الأندلسيين جاهدا من أجل توفير الأمان ولقمة العيش لعائلاتهم، مما أدى بهم إلى التغرب بعيدا عن الأهل والأقارب، فلم يهنأوا في أوطانهم بسبب الفاقة وتقلب الأحوال، كما لم يهنأوا في بلاد الغربة التي لجأوا إليها بغرض الاسترزاق وطلب السكينة، ونلمس في أشعارهم التي وصفوا فيها حنينهم إلى أحضان عائلاتهم الدافئة. وما أكثر الشعراء الذين عرفوا التغرب بعيدا عن الأهل، كما عرفوا مدى ألم الفراق سواء كان فراق حي بعيد أو فراق عزيز أخذه الموت دون رجعة.

فنجد الشاعر أبا القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الذي أغار الفرنجة على داره فخربوها، وقتلوا أهله وأقاربه وكان هو غائبا عنهم، كان كفيف البصر فاستأجر من أركبه وعاد إلى دياره ويقول[63]:

يا دار أين البيض والآرام أم أين حيران علي كـــرام

راب المحب من المنازل أنه حي فلم يرجع إليه ســلام

لما أجابني الصدى عنهم ولم يلج المسامع للحبيب كـلام

62 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص 62.
63 - المصدر نفسه، ص 448.

طارحت ورق حمامها مترنما بمقال صب والدموع سجـام
يا دار ما فعلت بك الأيــام ضامتك والأيام ليست تضام

من خلال هذه الأبيات، تبرز مشاعر الأسى على فقدان أهله، وبيته، خاصة وانه أعمى في حاجة ماسة إلى من يعينه في قضاء حاجاته في كل مذهب. فمرارة الفراق آلمت الشاعر وزادت همه وحزنه وحنينه إلى كنف أسرة تؤنسه في وحدته. ويقول المعتمد بن عباد وهو في سجن أغمات لما استقبله عيد الفطر بعيدا عن أهله(64):

فيما مضى كنت بالأعباد مسرورا فساءت العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعــة يغزلن للناس ما يملكن قطميـرا
برزن نحوك للتسليم خاشعـــة أبصارهن حسيرات مكاسيـرا
يطأن في الطين والأقدام حافيــة كأنها لم تطأ مسكا وكافــورا

يتذكر الشاعر وهو في السجن عندما استقبله العيد، الحفلات الفخمة التي كانت تقام بقصره أيام العيد، وتذكر بشائر السرور التي كانت تلوح على وجود أولاده وبناته، فرأى بناته لما دخلن عليه ليبلغنه التي كانت تلوح على وجوه أولاده وبناته، فرأى لما دخلن عليه ليبلغنه التهنئة فتيات كالزهر دموعهن في الأعين حافيات الأقدام، في أطمار بالية بأيديهن المغازل وقد غير البؤس تلك الوجوه الجميلة، فظل يندب حظه وحظ أولاده، يذكر السالفة في السجن بعيدا عن أهله الذين فجع لفراقهما.

وقد كان الرحيل لقاضي أبي الوليد بن الفرضي لأداء مناسك الحج ذا أثر في نفس الشاعر الذي أدى به الحنين إلى أهله بإرسال أشواقه فيقول(65):

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثة وما خلتني أبقى إذا غبتم شهــرا
ومالي حياة بعدكم أستلــذها ولو كان هذا لم أكن بعدها حــرا
أعلل نفسي بالمنى في لقائكـم وأستهل البر الذي جبت والبحــرا
ويؤنسني طي المراحل دونكم أروح على أرض وأغدو على أخرى
وتالله ما فارقتكم عن قلى لكم ولكنها الأقدار تجري كما تجــري

فسفر الشاعر للحج جعله يشعر بالوحشة فكتب إلى أهله ما يخالجه من حنين نحوهم،

64 - بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، ص 153.
65 - ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ص 104.

فثلاث شهور من البعد عنهم جعلته لا يستلذ بالحياة لأنه فارق مؤنسيه. ويقول أبو البقاء الرندي راثيا زوجته حزنا على فراقها(66):

يا برهة لحان فيها للمنى أمــل ونزهة للهوى والسمع والبصـر
مضت مضي الصبا عني لا عوض ومن يقوم مقام الشمس والقمـر

فالشاعر في هذه الأبيات يبرز مكانة زوجته في حياته، وان فراقها دون رجعة بفعل الموت أفجعه وهو يشبه وفاتها بمضي الصبا لا عوض له، وهذا يدل على مدى أهميتها في قلبه ومدى فاجعته برحيلها. فأسباب الحنين إلى الأهل والأقارب كانت متعددة ولكل شاعر قصة وتجربة عاشها، فاتسمت أشعاره بالصدق لأن مشاعره نابعة من وجدان عرف مرارة البين ولوعة الفراق وطول البعاد.

إن إحساس الغربة والحنين كان عميقا في نفس الشعراء الأندلسيين، فقد عرفوا معاناة الترحال والهجرة وقسوة البعاد ولوعة فراق الأهل، فالظروف القاسية التي تعرضت لها الأندلس أثرت على المواضيع التي أصبح الشعراء ينظمونها، فنجد شعر الحنين إلى الأهل والأقارب عند جل الشعراء في الأندلس، عند الأمير الثري كما هو عند غيره من البسطاء والفقراء، فالنظم في هذا المجال كان غزيرا من حيث الإنتاج الأدبي ومن حيث العواطف النبيلة الصادقة.

ومن الشعراء الذين ذاقوا مرارة الابتعاد عن الأهل والوطن الشاعر ابن شهيد فقد شهد الدولة العامرية وانهيارها، ليسيطر عليه الحزن بعد أن رأى البربر يخرجون أهل قرطبة من ديارهم وينهبون خيراتهم، فتفرقوا بعد شملهم يقول(67):

ما في الطلول من الحبــة فمن الذي عن حالها نستحبـر
لا تسألن سوى الفراق فإنــه ينبيك عنهم أنجدوا أم أغوروا
جار الزمان عليهم فتفرقـوا في كل ناحية وباء الأكثــر

كما عرف ابن دراج القسطلي من الشعراء، الترحال وآلام البعد عن الأهل والأحباب

66 - لسان الدين الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1974، ص 77.
67 - ابن شهيد: الديوان، تحقيق يعقوب زكي، القاهرة (د. ت)، ص 109 - 111.

فيقول في وصفه أحوال الهجرة وأهوالها(68):

ولله عزمي يوم ودعت نحوه نفوسا شجاني بينها وشجاهـا
وربة خدر كالجمان دموعها عزيز على قلبي شطوط نواهـا
وبنت ثمان ما يزال يروعها على النأي تذكاري فوق حشاها
وموقفها والبين قد جد جده منوطا بحبلي عاتقي يداهـا

فالشاعر يصف يوم توديعه لأهله وهو مرتحل، فتبدو حالة الشاعر في هذه الأبيات محزنة فهو يذكر أهله لحظة رحيله عنهم وهم يبكون على فراقه، ويذكر أيضا لبنته الصغيرة التي تألم عند توديعها، فظل يتذكرها في ديار الغربة ويحن إليها وإلى أهله كلهم.

فقد كان موقف الوداع صعبا على المفارق ومفارقيه، فابن دراج غادر الأندلس بحثا عن قوت العيش تاركا وراءه أسرة تنتظر عودته كما يتوق هو أيضا للقائها، فتكبد عناء الغربة ومشقة افتقاد أهله، وكل هذا صنعته الظروف التي تعرضت لها الأندلس ومشقة افتقاد أهله، أجواء الرخاء والسكينة وسط أهله في ظل المنصور العامري وبتبدل الأحوال في وطنه تغريت حياته نحو الأسوء فعرف الحرمان والتغرب.

ويقول إبراهيم المعروف بابن الحجاج(69):

قالوا تغربت عن أهل وطن فقلت لم يبق لي أهل ولا وطـن
أفرغت دمعي وحزني كلهم وليس لي بعدهم سكنى ولا سكن

ففي هذه الأبيات يشكو الشاعر وحدته التي يقضيها بعيدا عن أهله ومن يقربون إليه من الأحباب، والعودة إلى الوطن تظل حلما يراوده ولا يمكنه التحقق في ظل سقوط المدن وتشتت الأسر. كما عرف ابن زيدون الغربة في سجنه فاشتاق إلى دياره وأهله فيقول(70):

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى

فابن زيدون من الشعراء الذين فرق بينهم وبين ذويهم وديارهم الأسر في السجون، فكتب في سجنه واغترابه، وإحساسه بالضياع.

ومن خل تجربة ابن زيدون مع الأسر في السحن والابتعاد عن ذويه وعن ولادة وعن

68 - د. محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة، الإسكندرية 1999، ص 80.
69 - أبو الحسن النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، 1947، ص 112.
70 - د. محمد زكريا عناني: تاريخ الدب الأندلسي، ص 101.

قرطبة، نلمس لطابع الوجداني الذي ميز شعره، وكان بعده عن من يحب ووحدته في السجن يجعله يشعر بالأسى والحزن وفقدان طعم الحياة ولذتها، ويجعله في حنين دائم إلى مفارقيه أملا في الوصال(71):

إن عاد لكم عيد فرب فتـى بالشوق قد عاده من ذكركم حزن
وأفردته الليالي من أحبتــه فبات ينشدها مما جنى الزمـن:
"بم التعلل لا أهل ولا وطـن ولا نديم ولا كــأس وسكــن"

ومن خلال هذه الأبيات يبدو لنا الشاعر يائسا متشائما وكئيبا بعد معاناة الحرمان والفقد والضياع كما يظهر حنينه جليا إلى الوطن والأهل.

وإن كان ارتباط الحنين دائما ويهيج الذكريات، فأمل المرء في أن يعود يوما إلى بلده الذي شب فيه، وسط عائلته، هو ما يخفف من حسراته، وتصح هذه الحسرة أكثر إيلاما عند استحالة العودة واللقاء، فبعد أن وجد مسلموا الأندلس أنفسهم خارج أوطانهم وبيوتهم مكرهين، فخيم اليأس على حياتهم، فأثار هذا الأمر حنين الشعراء فجادت قرائحهم بمراثي فيها مدن الأندلس التي تتالي سقوطها، الواحدة بعد الأخرى على مرأى ساكنيها وهم عاجزين عن رد القضاء أو تغيير مصيرهم، وليس أمامهم سوى الترحال بعد أن تشتت شمل الأسر، وهذا ما ترويه مرثية "بكاء رندة" التي اعتبرت من المرثيات المجهولة المؤلف(72):

أحقا أخلائي القضاء أبادكــم ودارت عليكم بالصروف دهورهـا
فقتل وأسر لا يفادي فرقـــه لدى عرصات الحشر يأتي سفيرهـا
لعمر الهدى ما بالحشا لفراقكم سوى حرق سحم تلظى سميرهــا
ولوعة شكل ليس يذهب روعها ولا تنقضي أشجانها وزفيرهـــا
ونفس على هذا المصاب حزينه يذوب كما ذاب الرصاص صبورها

وهذه المرثية تصف حال رندة وأهلها بعد الخراب الذي لحق بها، فقد سجلت لنا مأساة التشتت والضياع، وتفرق شمل الأسر، فصاحب هذه المرثية يأسف على الواقعة ويشعر بأسى كبير على ما خلفته من دمار، ويحن إلى رندة وأيام الهناء فيها قبل القتل والأسر

71 - د. محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي، ص 101.
72 - د. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية...، ص 337.

والثكل الذي أثر في العائلات وترك حزنا عميقا في النفوس، وحنينا ولوعة شديدين.

الفصل الثالث

خصائص شعر الحنين الأندلسي

1 - اللغة والأسلوب في شعر الحنين الأندلسي

أ - الألفاظ

ب - العاطفة

ج - الأساليب

2 - الصور الفنية في شعر الحنين الأندلسي

أ - الصور الفنية البيانية

ب - مزج وصف الطبيعة بالحنين

ج - الاقتباس

3 - ألوان البديع في شعر الحنين الأندلسي

أ - الجناس

ب - السجع

ج - الطباق

د - التورية

1 - اللغة والأسلوب:

لقد عرف الأندلسيون في أشعارهم بالبلاغة وحسن اختيار الألفاظ وجزالة الأسلوب وهذا ما يجعل اللغة فصيحة وتراكيبها دالة.

وأما شعر الحنين فقد تميز في غالبه بالوضوح في الأفكار وسهولة الألفاظ وصدق العاطفة وبلغة فصيحة وبأسلوب جزل يتم عن ذوق الشعراء المتميز في تصوير حنينهم وأشواقهم النابعة من قلب صادق وهو تصوير ينقل لنا تجارب هؤلاء الشعراء الذين عرفوا الغربة والأسر بعيدا عن الأهل والوطن كما تجرعوا مرارة فقد الوطن والأقرباء، وتبدل الأحوال في الأندلس جراء سقوط مدنها على يد ملوك إسبانيا، كما أحاطنا الشاعر علما ودراية بذهاب الشباب وحلول المشيب في روائعهم الشعرية التي جسدت معنى رحيل الصبا والتحسر على ما فات وتمني بقاء الشباب والخلود في ثوب الصبا.

إنها خصائص شعر الحنين الأندلسي بصفة عامة، وفيما يلي من هذا البحث تفصيل لخصائص اللغة والأسلوب اللذان يرمي من خلالهما الشاعر إلى البوح بأسرار قلبه من حنين وحسرة على فقدان الوطن والأهل والحرية في ظل الحروب والأسر في السجون، وأسرار بلاغته وشاعريته من خلال ذكائه الأدبي في التعبير عما يجيش في صدره والقارئ والناقد هما من يحددان حذف الشاعر وحسن نظمه.

أ - الألفاظ:

إن اللغة من أهم مكونات القصيدة، وفيها يعبر الشاعر عما يجيش في النظم، فلا بد للشاعر أن يسلك فيها مسلكا خاصا ليتمكن من تأدية المعاني بطريقة تختلف عنها فيما عدا الشعر من فنون القول(1).

كما يذهب ابن رشيق إلى "أن للشعراء ألفاظا معروفة وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها"(2).

أما عبد القاهر الجرجاني فيقول في موضوع انتقاء الألفاظ من قبل الشاعر: "إن

1 - إبراهيم السامرائي: لغة الشعر بين جيلين، دار الثقافة، بيروت، (د. ت) ، ص 8.
2 - ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت 1981، ط5، ج1، ص 128.

الألفاظ أوعية المعاني"[3].

ويمثل اختيار الألفاظ عنصرا أساسيا من عناصر تكوين الأسلوب وتنويعه، فهو يرتبط عادة بموضوع النص، ومعجم العصر وطبيعة الثقافة المؤثرة في الشاعر، فالألفاظ الجزلة تناسب موضوعات في مثل قوتها كالفخر والمدح وموضوعات الحماسة بصفة عامة، أما الألفاظ الرقيقة فتنسجم مع ما يناسبها من أغراض كالغزل ووصف الطبيعة[4]. وقد تميزت ألفاظ شعر الحنين بالسهولة، وهم يتفقون مع رأي القدامى في أن سهولة الألفاظ تتلاءم مع شعر الحنين والغزل.

يقول قدامة بن جعفر: "ولما كان المذهب في الغزل والحنين إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة كان مما يحتاج فيه[5] أن تكون الألفاظ لطيفة، مستعذبة، مقبولة غير مستكرهة...".

فقد غلب على شعر الحنين السهولة في الألفاظ، في أسلوب جزل رقيق، يقول ابن الأثير: "مال الشعراء الأندلسيون إلى استخدام الألفاظ السهلة الواضحة البعيدة عن التعقيد والغرابة والوحشية وغيرها من الصفات التي لا تخل بفصاحة الكلمة"[6].

فنجد ألفاظ الشعر الأندلسي دلالة على سلامة الذوق، وسعة في لين الكلام وجزالة اللفظ وإن كانوا يختارون أحسن الألفاظ وقعا على السمع وادعاها إلى تصوير الجمال، وإيقاظ النفوس، وإثارة العواطف، مما يناسب الموضوعات التي كانوا يذكرونها في شعرهم، وقد أمنعوا في الصياغة اللفظية إمعانا، جعل كلامهم لا يكاد يخلو من تشبيه أو استعارة أو كناية، وكثيرا ما كانوا يأتون بالعجيب الغريب في ذلك[7].

فقد اتسمت أشعارهم بالرقة واللين والسهولة والفصاحة والبعد عن الاستذلال، ويبدو التلاؤم بين الألفاظ والمعاني جليا في قصائد الحنين لدى ابن الخطيب وأبي البقاء الرندي

3 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت 1981، ص 43.
4 - عبد الحميد عبد الله هرامة: العقيدة الأندلسية خلال القرن الثامن هجري، أدب الكاتب للطباعة، طرابلس، لبنان 1999، ط2، ج2، ص 292.
5 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، بغداد 1963، ط2، ص 75.
6 - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة 1939، ج1، ص 168.
7 - إبراهيم أبو خشب: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة (د. ت)، ص 155.

وأبي حيان وابن جابر وابن سعيد وابن زيدون وغيرهم.

ولعل السبب في ذلك: أن أكثر تلك القصائد في الحنين نظمها شعراء اعتبروا من فحول زمانهم، فقد اشترط النقاد السهولة في الألفاظ خاصة في شعر الحنين، ويوضح عبد القاهر الجرجاني أن اللفظ لا بد أن يكون "مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم ولا يكون وحشيا غريبا أو عاميا سخيفا"[8]. يقول الشاعر الغرناطي أبو عبد الله ابن زمرك[9]:

ولا تألق بارق التذكـــار ما صاب واكف دمعي المدرار

أمدكري غرناطة حلـت بها أيدي السحاب أزرة النـوار

كيف التخلص للحديث وحونها عرض الفلاة وطافحا زحـار

فالشاعر هنا يسوق لشعره في الحنين أرق الألفاظ، ويتخير الألفاظ السهلة الدارجة ويضفي عليها شيئا من ذاته وبيئته. فقد جاءت الأبيات في غاية التأنق والجمال كما أن ألفاظ ابن زمرك جاءت سهلة وواضحة لا غرابة فيها وهذا دليل على براعته الأسلوبية وسلامة ذوقه.

كما أن ابن سعيد أيضا نظم في الحنين إلى وطنه وكانت أشعاره متميزة في بحسن ذوقه في تخير الألفاظ المعبرة عن الحنين، حيث تبدو ألفاظه من خلاله أشعاره سهلة ورقيقة نابعة من قلب صادق مفعم بالشوق. والحنين في هذه الأبيات يقول متشوقا إلى اشبيلية وهي حمص الأندلس[10]:

لولا تشوق أرض حمص ما جرى دمعي ولا تشمتت بي الأعداء

بلد متى يخطر له ذكــر هفا قلبي وخان تصبـر وعزاء

من خلال أبيات "ابن سعيد" نجد بأن ألفاظه تبدو رقيقة عذبة، فهو يتشوق إلى وطنه ويحن إليه ويعتبر البعد عنه هو الموت، فلم نلاحظ لفظة واحدة في هذه الأبيات تحتاج البحث للتعرف عن معناها، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على سهولة ألفاظه وفصاحتها

8 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة 1939، ط3، ص 4.
9 - شهاب الدين أحمد المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1939، ج3، ص 170.
10 - المقري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968، ج1، ص 693.

وبعدها عن الغرابة، فهي من ألفاظ هذا العصر وبيئته.

أما ابن الخطيب فقد نظم العديد من القصائد متشوقا فيها إلى وطنه بعد أن فر من غرناطة إلى بلاد العدوة يقول[11]:

سلوا عن فؤادي بعدكم كيف حاله وقد قوضت عند الصبح رحاله

ولا تحسبوا أني سلوت على النوى فسلوان قلبي في هواكم محاله

هذه الأبيات تبدو لقارئها فصيحة، لتميزها بالرقة والتلاؤم بين ألفاظها زمعانيها، فأسلوب ابن الخطيب سلس وألفاظه سهلة ورقيقة بعيدة عن الغموض والإبهام.

لقد تميزت ألفاظ شعر الحنين في معظمها بالسهولة، فهي تنبض بعمق الشعور، فترق في مواضع الرقة، وتقوى في مواضع القوة، أما التراكيب فقد كانت مترابطة متينة السبك والصياغة، واضحة تراوحت بين الطول والقصر.

ب - العاطفة:

إن الكلمة هي وحدة البناء الفني للشعر، وهي من أقوى العوامل التي تتوقف عليها القيمة الجمالية لأي عمل أدبي، حيث حرص الشعراء منذ القدم على أن تكون أعذب لفظا أصح معنى وأكثر اتساقا مع الجملة التي ترد فيها، "الأداء الفني الجميل أساه الدقة في اختيار الكلمة، ووضعها في بيئتها، وامتزاجها مع معناها إذ ليس هو في مجموعه إلا طائفة من الكلمات المؤلفة المعبرة"[12].

من هنا استطاع الشاعر أن يؤلف من الكلمات قطعا شعرية يضفي عليها من نفسه وروحه ما يجعلها تعبر عن مشاعره وتعانق عواطفه.

كان للعاطفة أثرها البالغ في شعر الحنين" فالعاطفة هي الانفعال النفسي المصاحب للنص"[13]، فهي تحرك نفسي، بينما الفكرة شيء عقلي، فالذهاب إلى الحديقة مثلا فكرة لكن حب الذهاب إليها والتردد عليها في أوقات معينة عاطفة[14].

11- لسان الدين بن الخطيب: ديوان لسان الدين بن الخطيب، الصيب والجهام والماضي والكهام، تحقيق محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1973م، ص 572 - 573.
12 - عبد الحكيم بلبع: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مطبعو لجنة البيان العربي، القاهرة 1975، ط2، ص 214.
13 - أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1973، ط8، ص 214.
14 - عبد القادر أبو شريفة: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان 1990، ص 25.

فشعراء الأندلس إذا ما أحصيناهم فيما يخص العاطفة، فسنجد أن جلهم اتفقوا على التعبير الصادق عن عواطفهم في شعر الحنين وغيره من المواضيع المتعلقة بتجارب الشاعر المفرحة والمفجعة، وذكرياته وأهوائه، فلم يعرف شعرهم بالمبالغة في وصف المشاعر ولا الزيف بل اتسمت أشعارهم في الحنين بصدق العاطفة وعمق الشعور في لغة تطابق ما يحسون به دون تكلف أو مبالغة وهذا لأن الشاعر الأندلسي عرف حقا معاناة الغربة والبعد عن الأهل، كما عرف الحنين وعاشه.

"والعاطفة هي لب الفنون وعمادها، وهي المعزف الذي تصح به أوتار الأدب، وعليه يعزف الأديب، وهي الشرفة التي يطل منها على ما تنطوي عليه النفوس من ألم وأمل، والمنفذ الذي يصل منه إلى القلوب، وهي ترجمان لما يمكن من مظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعية وهي التي توجه الفن إلى المثل العليا في الحياة"[15].

إن أهم صفات الأدب أن يكون طبيعيا، وأن يكون صادق الإفصاح عن المعاني الحيوية، دقيقا في تصوير النزعات وما يتغلغل في الصدر من ميول وآمال، وأن يعرض لكل هذا في غير تكلف[16].

إن صدق العاطفة يعني "صدق الشاعر في شعره عن إحساس صادق ألمَّ به، وعصفت برأسه حمياه... فصدق الشعور من أقوى أسباب الإجادة الشعرية لدى الشاعر، والصدق العاطفي وصدق الاعتقاد عند الشاعر باعث قوي على انفعال الآخرين بشعره وتأثرهم بنتاجه[17].

فالشاعر الأندلسي مرتبط بأهله ومتعلق بوطنه محب له، حتى إذا ما ارتحل هن أهله ووطنه حن إليهم، وخفق قلبه شوقا إليهم.

فقد سطر شعراء الأندلس بشعرهم أسمى صفحات الوفاء والحب لأوطانهم وهم على ترابه، حتى إذا ما دفعتهم الظروف السياسية والفتن الداخلية إلى الخروج من أوطانهم فاضت أشعارهم بالشوق والحنين إلى الوطن، وبالألم والعذاب بسبب الغربة والبعد عن الديار، فقد خلف لنا هؤلاء الشعراء شعر في حنين يتميز بصدق العاطفة وفيض الشعور،

15 - عبد الحميد حسين: الأصول الفنية للأدب، مكتبة الأنجلو، مصر 1964، ص 71.
16 - المرجع نفسه، ص 76.
17 - عيسى علي العكوب: العاطفة والإبداع الشعري، دار الفكر، دمشق 2002، ط1، ص 274.

وعمق التجربة ورهافة الحس، والانفعالات الإنسانية الفياضة والمتدفقة المغلفة بنيران الحزن. فنجد الشاعر إبراهيم الساحلي الذي كانت له تجربة حقيقية في الغربة وهمومها وفراق الأحبة يقول[18]:

ما لزمان نام مستغـــرق الكرى   فما هب حتى سل ما كان سلما
طواني الضنا طي السجل وشفني   فلم يبق مني السقم إلا توهمـا
وودعت خلي والشبيبة راغمـــا   فلم أدر من أجرى دموعي منهما
وجف ربيع العيش في مربع الصبا   غداة ذوى العود البهيم وأثغمـا

فقد صدرت هذه الأبيات عن فلب محب لوطنه، فعواطف الشاعر جياشة نابعة من تجربة حقيقية في هموم الغربة، فما مر به الساحلي من المعاناة والغربة عن الوطن والبعد عن الأهل واقعي عكس عواطفه في هذه الأبيات.

كما يصف لنا أبو حيان الغرناطي شوقه وحنينه وشجنه يقول[19]:

هل تذكرون منازلا بالأجبُـل   ومنازها حُفّت بشطّي شُنّـل
ومشاهدا ومعاهدا ومناظــرا   للقاصرات اليعملات الذبـل
حيث الرياض تفتحت أزهارها   فشممت أذكى من أريج المنْذل
والطير تشدو مفصحات بالغنا   فوق الغصون الناعمات الميل
فتثير للمشتاق داء كامنـــا   وتذيل صائن دمعه المتهـلل

فهذه الأبيات تعبر عن مدى تعلق الشاعر بوطنه وانبهاره بجماله، فهو شاعر مرهف حساس، مضطرم العاطفة، سريع التأثر والانفعال، تصدر أبياته عن عاطفة صادقة وشوق عارم عاشه الشاعر.

وهذا شاعر ببسطة الذي ذاق الغربة، غربة عن الوطن والأهل، وغربة السجن وهو عبد الكريم القيسي الذي وقع أسيرا في يد الأسبان، فقد عرف تجربة قاسية، يقول عبد

18 - ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر (د. ت)، ج2، ص 135.
19 - خالد البلوي: تاج المفرق في تحلية علماء المفرق، تحقيق الحسن السائح، مطبوعات فضاله، العراق (د .ت)، ط2، ص 26.

الكريم القيسي في حنينه لوطنه وأهله[20]:

إني فضضت عن الدموع ختاما فغدت تسيل بوجنتي غماما
شوقا إلى عيش قضى بأحبـة كانوا وعيشهم علي كراما
يا ساكنين ببسطـة دوني، ولي قلب بهم ما يستفيق غراما
وإنني إن كنت عنكم نازحـا فالقلب في تلك الديار أقاما

فالشاعر يكاد قلبه ينفطر على فراق وطنه وأهله وهو خلف القضبان أسير يعاني الوحدة والعذاب، وهو يبعث بروحه تهيم في أرجاء بلاده حيث خلف قلبه هناك. ويقول ابن فركون في الحنين[21]:

أحيانا هل لنا بعد النوى طمـع في القرب وأهل زمان الأنس يرتجع
إذا تذكرت ما بيني وبينكـم يكاد قلبي من ذكراه يتصـــدع
ما كان ضني أن القرب يعقبه بع ولا أن طول الوصل ينقطـــع

فعاطفة الشاعر من خلال هذه الأبيات حزينة، فالشاعر يتمنى عودة أيام الأنس لأنه ذاق مرارة البعد عن أحبابه، فهو يصف مدى تفطر قلبه من الألم لفراق أحبابه، ويظهر الصدق جليا في عاطفة الشاعر في أسلوب رقيق وألفاظ لينة عذبة. فالشعر الذي يصف ماضي الشاعر المجيد وحاضره التعيس يضع أمامنا صورة تقابلية لعواطفه متعاكسة بين الأنس والفراق وبين الأنس والحزن.

فشعر الحنين أيضا اتسم بصدق الشعور فتارة يصور لنا الألم والعذاب عندما يكون الشاعر مقهورا منكويا بنار الشوق بلا أمل في صلاح أحواله، وتارة نجده فرحا حين يكون بصدد تذكر أيام الأنس والصبا والاجتماع، بمن يحب من الأهل والأقارب. فقد تراوحت العاطفة في شم الحنين بين الألم والصبر والضيق والأمل، ولكن أغلب في شعر الحنين هو العاطفة السلبية كالحزن واليأس والقنوط والخوف.

ومن الشعراء الذين عرفوا بحنينهم الأمير إسماعيل ابن الأحمر الذي اضطر للخروج

20 - عبد الكريم القيسي: ديوان عبد الكريم القيسي، تحقيق جمعة قيسة ومحمد الهادي الطرابلسي، بيت الحكمة، قرطاج 1988، ص 101.
21 - ابن فركون: ديوان ابن فركون، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ط1، الرباط 1987، ص 259 - 260.

إلى بلاد العداوة المغربية، بعد أن أرغم على البعد من وطنه بحكم انتسابه إلى بني الأحمر، وسلب منه سلطانه، فقد فاضت دموعه شوقا وحنينا وألما لبعده عن وطنه فيقول(22):

يهيج زفرتي تذكار أرضي ويفجعني ويستهمي الجفونا
حنيني ما حببت لها عظيم وما يسوى محبتها بلينـــا
وما بمراد نفسي كان عنها بعادي لا ورب العالمينـــا

إن الشاعر ابن الأحمر مرهف الحس وعاطفته صادقة تنفر عن حب الوطن والضيق لشدة البعد عنه.

ج - الأساليب:

لقد تعددت الأساليب في شعر الحنين عند الأندلس، فكل كان يعبر بأسلوبه الخاص فمنهم من كان يستهل قصيدته باستفهام، أو بنداء أو أن يختم قصيدته بالتمني كتمني اللقاء والعودة إلى الديار، فلكل أسلوب من هذه الأساليب الإنشائية غرض يرمي إليه الشاعر من خلال توظيفه لها في أشعاره.

- أسلوب النداء:

لقد تميزت أشعار الحنين بأسلوب النداء كدلالة على الأسى والحزن، أو الاستسراخ والاستغاثة والدعوة لمؤازرة الشاعر وتفهم حنينه ، وابن الآبار وظف النداء في حنينه إلى الأندلس في قوله(23):

يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا للحادثات وأمسى جدها تعسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعــا وللنداء غدا أثناءها جرســا

ففي أسلوب النداء في هذه الأبيات حسرة وأسى على ما حل بالأندلس، فهو يتحسر على ما جرى وهو لا يقدر على فعل شيء غير ذلك بعدما ساءت حالة بلاده. وابن مرج الكحل كرر أسلوب النداء للتعبير عن حنينه لمحبوبته(24):

يا نظرة أوردت بشرخ شبابي وقضى علي بعـــذاب

22 - إسماعيل بن الأحمر: نثير الجمان في شعر من نظمي وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت (د. ت)، ص 25.
23 - المقري: نفح الطيب، ج5، ص 346 - 347.
24 - د. صلاح جرار: مرج الكحل الأندلسي، سيرته وشعره، دار البشير، ط1، 1993، ص 109.

يا شدنا عيناه تفعل بالنـــهى مكان تفعل الصهباء بالألباب

وأسلوب النداء كان يستخدمه الشعراء أحيانا لمخاطبة المفارق، استعطافا كما أن الشاعر كان ينادي الطير والريح والطبيعة بكل ما فيها ويكلمها، ويبعث معها سلام إلى الأهل البعيدين وإلى الحبيب المهاجر. فنجد الشاعر ابن زيدون الذي نظم في شعر الحنين إلى الوطن والحنين إلى "ولادة" قد أكثر من أسلوب النداء في القصيدة الواحدة، وهذه الأبيات من قصيدة "بنتم وبنا"[25]:

يا ساري البرق غاد القصر فاسق به من كان صرفا الهوى والود يستعينا

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنــــا من لو على البعد حيا كان يحيينــا

وأسأل هناك هل عنى تذكرنـــا إلفــا تذكره أمــسى يعنينــا

فالشاعر يخاطب نسيم الصبا وساري البرق ويناديهما في أسلوب رقيق يستعطف فيه الشاعر ولادة، في هاذين البيتين ورد أسلوب النداء مكرر بأداة النداء (يا). ويقول أيضا في ولادة[26]:

يا نازحا وضمير القلب مثواه أنستك دنياك عبدا أنت مولاه

ألهتك عنه فكاهات تلذ بهـا فليس يجري ببال منك ذكراه

عل الليالي تبقيني إلى أمـل الدهر يعلم والأيام معنـــاه

فالشاعر يعاتب ولادة على هجرانها فيناديها بـ "يا نازيحا" ويصف نفسه بالعبد الذي هي مولاه الذي انشغل عنه.

- أسلوب الاستفهام:

نجد أسلوب الاستفهام في شعر الحنين متداولا عند كل شاعر يرمي به إلى غاية ما ويقصد به من وراء الإفصاح الإبانة وتقريب المعنى من القارئ، وأسلوب الاستفهام بليغ إذا حسن تأليفه، وقد كان استخدامه من قبل الشعراء في غالبه للتعبير عن حاضر الشاعر واصطدامه بالواقع المرير في ديار الغربة، وهذا ما نلمحه عند ابن سعيد الأندلسي في

25 - علي جواد الطاهر وعبد الرضا صادق وعبد الغفار الحبوبي: المنهل في الأدب العربي في العصر العباسي، مطبعة المعارف، بغداد 1962، ص 191 - 193.

26 - ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق محمد رضوان الداية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1978، ص 147.

قصيدة له قاله وهو بمصر وهذه أبيات انتقيتها لاحتوائها على أسلوب الاستفهام يقول[27]:

أين حمص؟ أين أيامي بها؟ بعدها لم ألق شيئا يعجب
أي عيش قد قطعناه بهــا ذكره من كل نعمى أطيب
أين حسن النيل من نهر بها كل نغمات لديه تطـرب
كم به من زورق قد حـله قمر ساق وعود يضرب؟
ملعب للهو من فارقتــه ما ثناني نحو لهو ملعب

فالشاعر يصف حنينه في أسلوب غلبت عليه التساؤلات، والغاية منها تذكره للماضي وتحسره على ما مر من أيامه الملاح في وطنه. فالشاعر عرف الغربة والحنين إلى الوطن عندما وطئت قدمه أرض مصر فهو يتذكر أيام الأندلس وذكرياته بها في أسلوب غلب عليه الاستفهام. فنجده يستخدم أدوات الاستفهام (أين- أي؟ - كم).

وفي قصيدة ابن الآبار في طلب نجدة بلنسية، نجده يصور ما حل بها ويتأسف على ما فات من عيش كريم بها قبل خرابها، يقول[28]:

فأين عيش جنيناه بها خضرا وأين عصر حليناه بها سلسا؟

فالشاعر حزين على ما ألم بوطنه الذي قضى فيه أياما سعيدة وعاش أمتع اللحظات في الأمن والاستقرار، فهو يندب حاضره المرير في ظل سقوط مدينته وخرابها على يد الإسبان. وكثيرا ما نجد أسلوب الاستفهام في شعر الحنين المتعلق برثاء المدن والمماليك، وأيضا في شعر الحنين الممزوج بالغزل، وذلك لأن الشاعر يذكر ما عهده من طمأنينة النفس وأمن البلد ويأسف على تبدل الأحول بأسلوب الاستفهامي يتساءل فيه عن إمكانية عودة المياه إلى مجاريها وصفاء وهدوء الأحوال بعد العاصفة والنكبة والغم في ظل الاستعمار الإسباني الذي حول المدن الإسلامية وغير معالمها وشتت شملها وشرد أفراد المجتمع الأندلسي.

ونجد الشاعر الذي رثى مدن الأندلس إثر توالي سقوطها على يد ملوك إسبانيا، أبو البقاء الرندي يصف ما أصاب مدن الأندلس في أسلوب أنيق أضفى عليه الاستفهام بصمة زادته جمالا ودلالة على هول الحدث مدى تأثيره على نفسية الشاعر، إذ يقول أبو البقاء

27 - المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص 281 - 283.
28 - المصدر نفسه، ج5، ص 346.

الرندي[29]:

دهى الجزيرة أمر لا غراء لـه		هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الإسلام فارتأت		حتى خلت منه أقطار وبلدان
اسأل بلنسية ما شأن مرسيــة		وأين شاطبة أم أين جيــان
وأين قرطبة دار العلــوم فكم		من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه		ونهرها العذب فياض وملآن

- أسلوب التمني:

لقد كثر تداول أسلوب التمني بين شعراء الأندلس خاصة في موضوع الحنين، حيث يأمل الشاعر ويرجو عودة الأمور إلى نصابها ورجوع المغترب إلى وطنه وخروج الأسير من سجنه وعودة المفارق إلى أهله لأنهم عرفوا مرارة الفراق والشوق، فراح كل شاعر يصف حزنه وحنينه في بداية قصيدته ثم يختمها بالتمني باستخدامه أدوات التمني (ألا ليت - لو- هل - يا ليت – ألا...).

وهذا ما نجده في شعر ابن عميرة الذي استخدم عبارة (ألا ليت شعري) متمنيا العودة إلى مدينته بلنسية، في قصيدة بعث فيها إلى أحد أصدقائه يقول[30]:

ألا ليت شعري هل لها من مطالع		معاد إلى ما كان فيها من السَّعْد

فهو تمني ممزوج بالأسى واليأس الذين دفعا بالشاعر لوصف شعوره الصادق النابع من نفس متحسرة آسفة تأمل العودة إلى الديار.

كما وظف شعراء الأندلس أسلوب التمني أيضا في الحنين إلى المحبوب الذي يتمنى الشاعر لقاءه كما هو الحال مع أبي البقاء الرندي[31]:

يا سالب القلب مني عندما رمقا		لم يبق حبك لي صبرا ولا رمقا
لا تسأل اليوم عما كابدت كبدي		ليت الفراق وليت الحب ما خلقا

حيث نلاحظ من خلال البيتين أن الشاعر يتمنى لو أن الحب والفراق لم يوجدا، لأنه

29 - د. فوزي سعد عيسى: في الأدب الأندلسي، ص 45.
30 - المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص 320.
31 - محمد رضوان الداية: أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ، مكتبة سعد الدين، بيروت 1986، ط2، ص 69.

تعذب جراء معايشتهما.

ويقول ابن زيدون مسائلا ولادة بنت المستكفي أن تدوم على عهده، في أسلوب جزل بليغ وظف فيه التمني باستخدام صيغة « يا ليت شعري»، فهو يرجو ويأمل وصالها في هذه الأبيات(32):

أضحى التنائي بديلا من تدانينـا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
هلا وقد حان صبح البين صبحا حين فقام بنا للحين ناعينــا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنــا وانبت ما كان موصولا بأيدينا
يا ليت شعري ولم نعتب أغانكم هل نال حظا من الغنى أعادينا
يا حبة الخلد أبدلنا بسلسلهــا والكوثر العذب زقوما وغسلينا
دومي على العهد ما دمنا محافظة فالحر من دان إنصافا كما دينا

فالشاعر في حنينه إلى ولادة يتمنى عودة الوصال والتداني بعد التجافي. وأيضا الشاعر الأمير الأسير المعتمد بن عباد الذي عرف الغربة والسجن له في قصائد الحنين تعدد الأساليب فنجده يوظف أسلوب التمني في قصيدة كتبها وهو في السجن ذليل، فهذا دفه بالشاعر الحزين على حاله إلى نظم قصيدة يذكر فيها أحب البقاع لديه وأيامه الخوالي، وفي الأخير يتمنى لو بيت ليلة وأمامه وخلفه روضة وغدير، فالشاعر يحن إلى عيشة الأمراء في القصور بين الرياض يقول(33):

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضة وغدير

2 - الصورة الفنية:

حضت الصورة باهتمام النقاد والباحثين، فهي من المفاهيم النقدية التي عانت اضطربا في التحديد الدقيق نتيجة لاختلاف تعريفها باختلاف الدارسين، وتنوع مذاهبهم الأدبية، فظل الغموض مسيطرا عليها(34) "فالصورة الشعرية: تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من

32 - بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، ص 125 - 128.
33 - المرجع نفسه، ص 152.
34 - بشرى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994، ص 19.

معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها"[35]، وقد وضع النقاد للصورة الاعتبار الأول لكل إبداع شعري لأنها هي في الحقيقة تسمو بالنتاج كلما كانت صادقة مترابطة ناقلة للتجربة الناضجة في أصالة وعمق، ومفهوم الصورة أشار أليه النقاد العرب القدامى، يقول الجاحظ: "إنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير"[36].

وقد تفنن شعراء الأندلس في موضوع الحنين فبدا شعرهم بليغا بتوظيف الصور البيانية كالتشبيه بأنواعه والمجاز والاستعارة والكناية، وذلك لتقوية المعنى والتعبير عن مدى أثر الغربة في نفسية الشاعر، فذهب الشاعر في وصف الحنين إلى وطنه وأهله وإلى أيام شبابه بعيدا باستخدام الخيال أحيانا فنجده يكلم الأنهار والرياح ويشكو للطير أشواقه ويبعث بتحياته لمفارقيه مع النسيم.

أ - الصور البيانية:

فقد اهتم شعراء الأندلس بالتصوير الفني في شعر الحنين، تأثرا بشعراء المشرق، لدرجة أنهم أسرفوا في توظيفه، كما اعتمدوا الاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية كما كانت الطبيعة الأندلسية الخلابة مصدر إلهام للشعراء إذ نجد تصوير الحنين متعدد الأضرب لديهم، كما هو الحال مع الشاعر الأندلسي عبد الكريم البسطي الذي صور لنا معاناة الفراق في هذه الأبيات[37]:

لم أنس يوم النوى والبين كلمتها ... وقلبها مثل قلبي اليوم مضطرب
ووجهها مثل وجهي واجم فرقا ... من خطب فرقتنا غيران مكتئب
ودمعها مثل دمعي فوق وجنتها ... كالغيث منهمر هام ومنسكب
وقد مددت إليها للوداع يــدا ... واستقبلتني بأخرى وهي تنتحب

فالشاعر يصور فراق زوجته، في صياغة فنية تعددت فيها التشبيهات فأورد الصور متلاحقة مستخدما تشبيه واحدة هي "مثل" كقوله "ووجهها مثل وجهي" و"ودمعها مثل

35 - على البطل: الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس، بيروت 1981، ط2، ص 30.
36 - الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1969، ط3، ج3، ص 133.
37 - عبد الكريم القيسي: ديوان عبد الكريم القيسي، ص 113.

دمعي" فالشاعر يشابه حاله بحال زوجته لحظة الفراق. يقول ابن دراج[38]:

ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان؟

اشتمل البيت الشعري على صورة بيانية تمثلت في التشبيه البليغ "البحر قبر" و"الماء أكفان" فالشاعر يتساءل متشككا في إمكانية العودة إلى الدنيا، في أسلوب فني بليغ يعبر فيه عن حزنه وألم الشوق في قلبه.

ب - المزج بين الحنين والطبيعة:

بين وصف جمال الطبيعة ووصف الحنين علاقة وطيدة أدت إلى التمازج والتداخل بينهما في الشعر، مما أعطى لمسة فنية جمالية لموضوع الحنين ووصف الطبيعة معا، فقد سحر شعراء الأندلس بطبيعتها، مما دفعهم إلى التغني بجمالها وروعة مناظرها، وهم على ربوعها حيث ملاعب الصبا ومواطن الذكريات، فإذا ما ابتعدوا عنها، ألهبت الغربة مشاعرهم ومزق الشوق قلوبهم، فجاءت قرائحهم بالحنين إلى الأرض ومن حل بها من الأهل والأحباب، ومن هنا مزج شعراء الأندلس بين شعر الطبيعة والحنين حيث افتتح الشاعر الأندلسي قصيدة الحنين بمقدمة في وصف الطبيعة، يقول أبو المطرف أحمد بن عميرة المزومي يحن إلى ربوع "بلنسية" بعد سقوطها وابتعاده عنها في أسلوب أنيف مزج فيه بين الحنين ووصف الطبيعة[39]:

يحن وما يجدي عليه حنينه إلى أربع معروفها متنكر

ويندب عهدا بالمشقر فاللوى وأين اللوى منه وأين المشقر

تغير ذاك العهد بعدي وأهله ومن ذا علي الأيام لا يتغير

وأقفر رسم الدار إلا بقية لسائلها عن مثل حالي تخبر

فلم يبق إلا زفرة بعد زفرة ضلوعي لها تنقد أو تنفطر

وإلا اشتياق لا يزال يهزني فلا غاية تدنو ولا هو يفتر

ولعل أكثر شعراء الأندلس ولوعا بالطبيعة الشاعر ابن خفاجة الذي عبر عن حنينه إلى الأندلس وإلى أنهارها ورياضها وبساتينها في شعره الذي صور جمال بلاد الأندلس.

38 - إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة ، بيروت 1969، ط2، ص 87.

39 - المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 493 - 494.

يقول ابن خفاجة[40]:

أرقت لذكرى منزل شط نازح كلفت بأنفاس الشمـال له شما

فقلت لبرق يصدع الليل لامـح ألا حي عني ذلك الربع والرسما

وابلغ قطين الدار أني أحبـهم على النأي حبه لو جزوني به جما

وأقرئ عفيراء السلام وقل لها ألا هل أرى ذلك السهى قمـراتها

فالشاعر هنا يمزج بين وصف الطبيعة ووصف حنينه إلى محبوبته التي فارقته، مما زاد أسلوبه رقة، كما أن انتقاءه للألفاظ المناسبة المستوحاة من الطبيعة كالليل والبرق والقمر ساعد على توضيح المقصود فكان تعبير الشاعر عن ما يختلج في نفسه من مشاعر الحب والشوق ممزوجا بمظاهر الطبيعة.

ونجد الشاعر ابن حمديس أيضا يوظف وصف زهرة النيلوفر التي افتتن بها شعراء الأندلس، يقول في غربته[41]:

ونيلوفـر أوراقه مستـديـرة تفتـح فيمـا بينهن زهـر

كما اعترضت خضر التراس وبينها عوامل أرماح ألسنتها حمـر

هو ابن بلادي كما اغتر أبي اغترابه كلانا عن الأوطان أزعجنا الدهر

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يصف حنينه موظفا وصفا لزهرة النيلوفر.

ج - الاقتباس:

ومن مصادر الصورة الفنية الاقتباس من القرآن الكريم، فقد استقى شعراء الأندلس في حنينهم صورهم نتيجة التأثر بالقرآن الكريم، يقول ابن الخطيب واصفا حالة التغرب والنوى والبعد عن الأوطان على أنها موت أو قتل[42]:

إنا قتلنا بالنوى سيان من يجلى عن الأوطان أو من يُقتَل

فالشاعر يساوي بين النوى والجلاء عن الوطن وبين القتل وهذا ما ورد ذكره في

40 - حمدان حجاجي: حياة وأثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د. ت) ، ط2، ص 218.

41 - د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت 1985، ط7، ص 197.

42 - ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علة الاغتراب، تحقيق سعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1983، ص 296.

القرآن في قوله تعالى: "ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل"[43].

3 - ألوان البديع في شعر الحنين الأندلسي:

لقد عاش الأندلسيون في بيئة مترفة لاهية وحضارة مزدهرة دفعت بشعرائهم إلى العناية بالشعر، وتزينه بألوان الصنعة البديعية التي تتناسب مع روح العصر السائد آنذاك. كما كان للتأثيرات المشرقية دور كبير في توجيه شعراء الأندلس التكلف والصنعة في بعض أشعارهم، فشغلت أساليبهم المختلفة الجزء الأكبر من نتاجهم الشعر متأثرين بالمشارقة، إلا أنهم لم يسرفوا في استخدامه إسراف المشارقة.

فقد اختلف الشعراء من حيث الصنعة اللفظية، فمنهم من اعتمد في حنينه الصادق على الألفاظ السهلة المباشرة، ومنهم من فضل أن يضيف إلى حنينه لحنا موسيقى من خلال السجع والجناس والطباق وغيرها من المحسنات البديعية التي تزيد المعنى إيضاحا والأسلوب جمالا وقوة، إن حسن التأليف والتوظيف فقد تعددت المحسنات البديعية في شعر الحنين، فقد اشتمل على التورية والجناس والسجع والطباق وغيرها دون مبالغة.

أ - الجناس:

لقد كان شعراء الأندلس مولعين بالجناس، "وهو تشابه بين لفظين في النطق تشابها تاما أو جزئيا مع اختلافهما في المعنى"[44]. وقد تحدث النقاد عن قيمة الجناس في العمل الفني فبينوا أنه إذا جاء غير متكلف تم به المعنى[45].

ويعود جمال الجناس إذا لم يكن متكلفا إلى ذلك الجرس الموسيقي الصادر عن تكرر الكلمات المتماثلة تماثلا تاما أو ناقصا، الأمر الذي يزيد من تأثير الكلام على المتلقي، يقول الملك الشاعر يوسف الثالث في الحنين إلى وطنه[46]:

ألا إن لي قلبا يحن لموطني فيا ليتني لو صدق الخبر الخبر

43 - سورة النساء، الآية 66.
44 - أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي، مكتبة الحلبي، القاهرة 1960، ص 12.
45 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص 8.
46 - يوسف الثالث: ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، تحقيق عبد الله كنون، معهد مولاي الحسن، تطوان 1985، ص 62 - 63.

ويقول أيضا(47):

أضحى الفؤاد بسيف البين مجروحا ومدمع العين فوق الخد مسفوحا

سقيا لغرناطة والله ما برحــت تلقي من البعد في قلبي تباريحا

فقد جانس الشاعر ملك غرناطة بين "مجروحا - مسفوحا" وبين "برحت - تباريحا" جناسا ناقصا. ومن الشعراء الذين وظفوا هذا اللون من البديع في شعرهم، حازم القرطاجني معبرا عن حنينه وشوقه إلى وطنه وذلك في قوله(48):

مواقف كم قد حمى الطرف بها عن الكرى وسنان طرق فاحتمى

يختطف القلب بها إن لم يكـن خلوا وقلب الخول فيها يختـطى

فالجناس باد في كلا البيتين، إذ جانس الشاعر بين (الطرف- طرف) وبين (خلوا - الخول). ويقول ابن سعيد(49):

أحبابنا عودوا علينا عودة ما منكم بعد التفرق مرغب

فالشاعر وظف الجناس في هذا البيت الذي يحن فيه إلى أهله وأحبابه، وذلك حين جانس بين لفظي (عودوا- عودة) وهو ما جاء عفو الخاطر لأن في أشعار ابن سعيد نادرا ما نجد هذا اللون من البديع.

ب - السجع:

وهو من ألوان البديع اللفظي وهو "اتفاق الفواصل في الحرف، أو في الوزن أو فيهما معا..."(50). والأصل أن السجع يأتي في النشر، ويأتي في الشعر على نوعين:

- التصريح:

وقد ورد التصريح في بداية القصائد ومن أمثلة ذلك قول ابن الأبار في حنينه إلى بلنسية ورصافتها(51):

ما للهوى إلا الرصافة مأربعد الغدير فكيف يصفو مشرب

فالتصريح هنا في لفظي" مأرب" والتي جاءت في الشطر الأول من البيت و" مشرب"

---

47 - المصدر نفسه، ص 22.
48 - محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي، دار الوفاء، الإسكندرية 2008، ط1، ص 507.
49 - المقري: نفح الطيب، ج1، ص 390.
50 - المصدر نفسه، ج2، ص 390.
51 - ابن الأبار: الديوان، تحقيق عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر 1985، ص 59.

والتي جاءت في الشطر الثاني. وأيضا ورد التصريح في قول ابن عميرة في بداية قصيدته الدالية في الحنين إلى بلنسية[52]:

ألا أيها القلب المصرح بالوجد   أما لك من بادي الصبابة من بد

فنلاحظ اتفاق الفواصل في الحرف الأخير من صدر البيت وعجزه.

- التشطير:

وقد كان التشطير قليلا نادرا في شعر الحنين فنجده في قول حازم القرطاجي[53]:

ومنعم بمطعم ومشرب   يرضى العيون والأنوف واللها

ومركب لما نسو مجلس   في مدرس ومحضر في منتدى

وملتقم لمرشف ومهصر   كمعطف من أهيف طاوى الحشا

هكذا عبر الشاعر عن حنينه من خلال استخدامه للمحسنات البديعية التي لم يتكلفها، لأن أكثرها جاء عفويا وليست متكلفا. كما وظف الشاعر الأندلسي كثيرا الطباق والمقابلة للتعبير عن تقبله حاله من القرب إلى البعد ومن الوصل إلى الفراق.

ج - الطباق:

أما الطباق فهو الجمع بين ضدين في الجملة وهو أسلوب بديعي من أساليب التحسين المعنوي، لا يثقل الشعر كما يثقله الجناس غير أن الإكثار منه قد يفسد المعنى، وغالبا ما يأتي عفو الخاطر وتفرضه طبيعة الكلام ومن أمثلة الطباق في شعر الحنين قول ابن سعيد متشوقا للجزيرة الخضراء[54]:

أسهل الليل أغضى لصبح   أترى النوم ذاهبا بالصبح

طباق بين الليل والصبح طباق الإيجاب. ويقول أيضا[55]:

إن الفراق هو المنية، إنما   أهل النوى ماتوا وهم أحياء

فالشاعر هنا وظف الطباق للدلالة على مرارة الفراق فوصف أهل النوى بالأموات

52 - ابن سعيد: اقتصار القدح المعلي في تاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1980، ط1، ص 48.
53 - محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي، ص 515.
54 - المقري: نفح الطيب، ج2، ص 693.
55 - المصدر نفسه، ص 694.

والفراق بالمنية والطباق هنا بين (ماتوا - وبين أحياء). ويقول أبو جعفر بن جرج[56]:

إن الهوى كتب الآجال في مقال ال آجال من أنس عن وصلنا وحُش

بيض مناذرها سـود غدائـرها كما تلاقي جيوش الروم والحبش

الشاعر طابق بين (أنس ووصل) كما أن الطباق في البيت الثاني ورد في (بيض وسود).

د - التورية:

لقد كانت حاجت الشعراء إلى التورية للتعبير عما يختلج في نفوسهم من شوق وحنين وألم وساعدهم في ذلك طبيعة الأندلس الخلابة. والتورية لفظ أطلق على معنيين قريب وبعيد والمراد هو البعيد.

وقد كثر تداول التورية، حتى أفرد لشعر التورية مجموعات شعرية خاصة، ومنهم الشاعر ابن خاتمة في مجموعة الشعرية الصغيرة "رائق التحلية في فائق التورية"[57]. يقول ابن خاتمة:

إذا ما النوى أذكرت بقلبي جمرة فهاج لنا بين الضلوع غليـل

برزت لأستشفي نسيم ربوعهم إذا هب بالأسحار وهو بليـل

ومن أعجب الأشياء وهو تعلل طبيب يداوي الناس وهو عليل

فقد ورد ابن خاتمة بـ "عليل"، والمقصود بالنسيم العليل أي الطبيب المقبول، للتعبير عما يختلج في نفسه نتيجة لغربته.

ومن مظاهر التورية ما استخدمه ابن جزي الكلبي موريا بالعروض[58]:

لقد قطعت قلبي يا خليل بهجر طال منك علي العليل

ولكن ما عجيب منك هذا إذا التقطيع من شأن الخليل

ففي عبارة "التقطيع من شأن الخليل" تورية: المعنى القريب: الحبيب الذي هجره وقطع وصاله، ومعناه البعيد وهو أن التقطيع من مصطلحات العروض.

56 - ابن بسام: الذخيرة من محاسن أهل الجزيرة، ص 250.
57 - محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص 269.
60 - محمد رضوان الداية: رائق التحية في فائق التورية، دار العلم، بيروت 1968، ص 37.

الخاتمة

خاتمة

وفي الختام يمكن القول بأنّ شعر الحنين الأندلسي عُرف منذ نشأته بوصف تجارب الشعراء الذاتية مع الغربة والحنين، وبوصفهم لأحوال الأندلس وأهلها في ظل التقلبات السياسية والحرب التي انعكست على حياة الأندلسيين الاجتماعية، مما أدى بالشاعر إلى التراحم معهم والأسى على حالهم، وإلى رثاء الأندلس التي خربها الإسبان.

وخلاصة ذلك أنّ شعر الحنين الأندلسي كان في مجمله يعبّر عن عواطف صادقة، استوجبت لغة سهلة، وأسلوبا بسيطا، وألفاظا متداولة بعيدة عن الغرابة، كما هو ظاهر من خلال الأشعار التي وردت في البحث، إذ نجد الأفكار واضحة خالية من الغموض، والعبارات منتقاة من قبل الشاعر الذي تميّز بالفصاحة والذوق السّليم، وذلك لاهتمام شعراء الأندلس بالمعاني لإيصال معاناة الشوق والحنين في أسلوب فنّي بسيط وأنيق خالٍ من التعقيد والإبهام.

فصدق التجربة ومعايشة الشاعر لإحساس الغربة النفسية والمكانية والزمانية أدّى بأشعاره في الحنين إلى الاتسام بصدق العاطفة دون مبالغة في المعاني أو في التصوير والصنعة اللفظية، إلا ما دعت الضرورة الفنيّة إليه من ألوان البديع التي تضفي على القصيدة جرساً موسيقياً يزيد من جمال القصائد ويعزز دلالات معاناة الشاعر وحزنه، كما أنّ التصوير أيضا يبرز فنيات الشاعر إلى جانب إبراز ما يختلج في صدر الشاعر من حنين، ونجد ذلك في التشبيهات التي يصوّر بها الشاعر حالة غربته وشوقه في أسلوب فني متميّز يعبّر عن مرارة التجربة.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

* - القرآن الكريم.

1 - ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة 1939.

2 - ابن الأحمر، إسماعيل: نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت (د. ت).

3 - ابن الأبار، أبو عبد الله: الديوان، تحقيق عبد السلام هراس، الدار التونسية للنشر، ط2، 1986.

4 - آل طعمة، عدنان محمد: موشحات ابن بقي الطليطلي وخصائصها الفنية، سلسلة كتب التراث، بغداد 1979.

5 - ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، اختيار وتقديم، د. محمد رضوان الداية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1978.

6 - البستاني، بطرس: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نظير عبود، بيروت (د. ت).

7 - بليغ، عبد الحكيم: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، القاهرة 1975.

8 - البلوى، خالد: في تحلية علماء المفرق، تحقيق الحسن السائح، مطبوعات فضاله، العراق، ط2، (د. ت).

9 - الجاحظ، عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت 1969.

10 - د. جرار، صلاح: مرج الكحل الأندلسي، سيرته وشعره، دار البشير، ط1، 1993.

11 - الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة عيسى الحلبي، ط3، القاهرة 1939.

12 - الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، دار المعرفة، بيروت 1981.

13 - الجندي، علي: عيون الشعر العربي القديم، دار غريب، مصر 2000.

14 - حجاجي، حمدان: حياة وآثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، (د. ت).

15 - حسين، عبد الحميد: الأصول الفنية للأدب، مكتبة الأنجلو، مصر 1964.

16 - الحميري، أبو عبد الله: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

17 - أبو خشب، إبراهيم: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت).

18 - ابن الخطيب، لسان الدين: ديوان لسان الدين بن الخطيب، الصيب والجهام والماضي والكهام، ترجمة محمد شريف قاهر، الشركة الوطنية، الجزائر 1973.

19 - ابن الخطيب، لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر (د. ت).

20 - ابن الخطيب، لسان الدين: أعمال الأعلام، تحقيق، أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت 1956.

21 - ابن الخطيب، لسان الدين: نفاضة الجراب في علة الاغتراب، تحقيق سعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1983.

22 - ابن خفاجة: الديوان، دار صادر، بيروت 1988.

23 - خفاجي، محمد عبد المنعم: الآداب العربية في العصر العباسي الثاني، دار الطباعة الحديثة، مصر (د. ت).

24 - الداية، محمد رضوان: أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، مكتبة سعد الدين، ط2، بيروت 1986.

25 - الداية، محمد رضوان: الأدب الأندلسي والمغربي، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق 1981.

26 - الداية، محمد رضوان: رائق التحلية في فائق التورية، دار العلم، بيروت 1968.

27 - د.عدور، أشرف علي: الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، دار النهضة الشرق، ط1، القاهرة 2002.

28 - د. قالي محمد أحمد: الحنين في الشعر الأندلسي ، دار الوفاء، الإسكندرية 2001.
29 - الرازي، محمد بن أبو بكر عبد القادر: مختار صالح، دار الكتاب الحديث، ط1، الكويت 1994 م- 1414 هـ.
30 - الزوزني، أبو عبد الله بن أحمد: شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، مصر 1988.
31 - ابن سعيد، علي: اختصار القدح المعلي في تاريخ المحلي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت 1980.
32 - السمرائي، إبراهيم: لغة الشعر بين جبلين، دار الثقافة، بيروت، (د. ت).
33 - ابن سعيد، علي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، 2009.
34 - الشايب، أحمد: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط8، القاهرة 1973.
35 - أبو شريفة، عبد القادر: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان 1990.
36 - ابن شهيد، الديوان: تحقيق يعقوب زكي، القاهرة، (د. ت).
37 - صالح، بشرى: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994.
38 - الطاهر، علي جواد وعبد الغفار حبوبي وعبد الرضا صادق: المنهل في الأدب العربي، مطبعة المعارف، بغداد 1962.
39 - عباس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1927.
40 - عباس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1971.
41 - عتيق، عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، ط2، بيروت 1976.
42 - عيسى، فوزي سعد: في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999.
43 - العاكوب، عيسى علي: العاطفة والإبداع الشعري، دار الفكر، ط1، دمشق 2002.

44 - الغيروز أبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406 هـ.

45 - ابن فركون، أبو الحسين أحمد: ديوان ابن فركون، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ط1، الرباط 1987.

46 - فون شاك: الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، دار الفكر العربي، القاهرة 1999.

47 - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله: الشعر والشعراء، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة المعاهد، القاهرة، ط2، (1932 م - 1350 هـ).

48 - القاضي النعمان عبد المتعال: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية، القاهرة 1965.

49 - قدامة، بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ط2، بغداد 1963.

50 - ابن دراج القسطي: الديوان، تحقيق محمد علي مكي، دمشق 1961.

51 - ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981.

52 - الكفائي، السيد كاظم: عصور الأدب العربي، مطبعة الإرشاد بغداد 1968.

53 - المتنبي، أبو الطيب: الديون، شرح أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، دار المعرفة، بيروت 1978.

54 - محمد سراج الدين: موسوعة روائع الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، ط1، بيروت 2000.

55 - المقري، شهاب الدين أحمد: نفح الطيب من غصن الأندلس، الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

56 - المقري، شهاب الدين أحمد: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1939.

57 – مكي، الطاهر أحمد: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف،

ط3، 1987.
58 - أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي، مكتبة الحلبي، القاهرة 1960.
59 - ناصيق إيميل: أروع ما قيل في الوجدانيات، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996.
60 - النباهي، أبو الحسن: تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة 1947.
61 - هرامه، عبد الحميد عبد الله: العقيدة الأندلسية خلال القرن الثامن هجري، أدب الكاتب للطباعة، طرابلس، لبنان ، ط2، 1999.
62 - يوسف الثالث ملك غرناطة: الديوان، تحقيق عبد الله كنون، معهد مولاي الحسن، تطوان 1985.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث

خصائص شعر الحنين الأندلسي